

من روائع الأدب العالمي للأطفال

دافيد كوبر فيلد

تأليف: تشارلس ديكنز

ترجمة: مختار السويدي



دافيد كوبرفيلد

تأليف: تشارلز ديكنز

ترجمة: مختار السويدي

مراجعة: محمد العزب موسى

المؤلف

تتميز جميع أعمال تشارلس ديكنز ، الأديب الانجليزي العظيم ، بحلاوة الأسلوب السهل الجذاب ، الذي يشد القارئ من بداية العمل حتى نهايته ، كما تتميز بالحبكة الروائية التي تجعل القارئ يحس بطعم « الحدوتة » . ولهذا فقد اشتهر ديكنز بأنه الأديب الذي يحبه بسطاء العالم . . ذلك لأن جميع أعماله الأدبية معروفة ومحبوبة لدى قراء الأدب في جميع انحاء العالم ، بعد أن تمت ترجمتها الى أكثر من خمسين لغة من اللغات التي تتكلمها الشعوب المختلفة .

ولد تشارلس ديكنز فى « لاندبورت بورتسى » فى انجلترا سنة ١٨١٢ ٠٠ وعاش طفولة بائسة ، لأن أباه كان يعمل فى وظيفة متواضعة ويعول أسرة كبيرة العدد .

ولهذا فقد اضطر لترك المدرسة وهو لم يزل صبيا صغيرا ٠٠ وألحقه بعمل شاق بأجر قليل حتى يشترك فى اعادة الأسرة .

وكانت تجارب هذه الطفولة الشقية ذات تأثير عظيم فى نفسه ، وتركت انطباعات انسانية عميقة فى حسه ووجدانه .

وقد كتب تشارلس ديكنز عن هذه الانطباعات والتجارب المريرة المؤلمة التى مر بها اثناء طفولته ٠٠ فى العديد من قصصه ورواياته التى ألفها عن أبطال من الأطفال الصغار الذين عانوا الكثير من العذاب والضياع بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التى كانت سائدة فى انجلترا فى عصره .

وتتجلى عظمته فى أنه بالرغم من هذا الشقاء الذى كان يعانى به فى طفولته ، فقد كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الشاق ، وينكب على القراءة والاطلاع على الكتب . . كما كان يحرص على التجول وحيدا فى الأحياء الفقيرة بمدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة ، خارجة على القانون فى أغلب الأحوال .

وفى العديد من قصصه ورواياته ، وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها وبكل المأسى التى كانت تدور فيها .

وعندما وصل الى سن العشرين ، تمكنت الأسرة من إلحاقه باحدى المدارس ليكمل تعليمه . .

وفى نفس الوقت كان يعمل مراسلا لحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع قليل . وقد تفانى فى هذا العمل الصحفى الذى كان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب .

كذلك فقد أتاح له هذا العمل الصحفى أن يتأمل مستطلعا فى أحوال الناس على مختلف مستوياتهم

الاجتماعية والأخلاقية ، فخرج بالعديد من التجارب
الانسانية التي وسعت من افقه وحسه الأدبى .

وفى سن الرابعة والعشرين (سنة ١٨٢٦) أصدر
تشارلس ديكنز أولى رواياته الأدبية « مذكرات
بيكويك » . وقد لاقت هذه الرواية نجاحا ساحقا ،
وجعلته من أكثر الأدباء الانجليز شعبية وشهرة .

ثم ازدادت شهرته فى انجلترا وخارج انجلترا
عندما صدرت رواياته العظيمة الأخرى تباعا . .

ولقد حرصنا منذ بداية ظهور هذه السلسلة من
«روائع الأدب العالمى للناشئين» أن نقدم لك يا عزيزى
القارئ أعمال هذا الأديب العظيم الصادق الذى امتلأ
قلبه بالمشاعر الانسانية ومواساة البائسين والمعذبين فى
الحياة ، والذى تتفجر رواياته بأسلوب سهل بسيط ، بكل
ما فى هذه الحياة من ألم وأمل . .

وعلى هذا فاذا كنت تريد معرفة المزيد من المعلومات
عن تاريخ حياة هذا الأديب العالمى الشهير . . وتريد فى

الوقت نفسه أن تستزيد من الاستمتاع بأعماله . فتعال معنا الى أعماله التي أصدرناها لك ضمن هذه السلسلة . وهى :

- - أوليفر تويست
- - الآمال الكبرى
- - حكاية مدينتين
- - دافيد كوبرفيلد
- - أوقات عصيبة
- - مذكرات بيكويك

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته فى كتابة المقالات وتأليف القصص والروايات والقاء المحاضرات وكان يدعو باستمرار فى غالبية هذه الأعمال الى ضرورة الاصلاح الاجتماعى ، والى تدعيم « المؤسسات الخيرية والصحية » التى ترعى الفقراء من الناس .

وآمن تشارلس ديكنز بأن جميع الأحوال السيئة

قابلة للإصلاح . ولهذا فقد سخر قلمه البليغ للدعوة
الى تخليص المجتمع البشرى مما يحيط به من شرور
وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

وفى سنة ١٨٧٠ مات تشارلس ديكنز بعد أن ترك
للإنسانية هذا الكنز الهائل من الأعمال الأدبية
العظيمة .

« المترجم »

الجزء الأول

البيت

١ - كيف كان مولدى

اسمى دافيد كوبرفيلد . . وهانذا اكتب لكم قصة
حياتى . .

ولدت فى بلاندرستون . وقد مات أبى قبل مولدى
بفترة قصيرة .

وفى احدى الأمسيات ، كانت أمى جالسة قرب
نار المدفأة ، وكانت حزينة على مصيرها ومصير طفلها
اليتيم البائس .

ولحت أمى مس بيتسى وهى تسير خارج سور

الحديقة . وكانت مس بيتسى تسير متمهلة تجاه باب البيت . وبدلاً من أن تدق الجرس ، دست أنفها لتتأمل الى داخل البيت من خلال النافذة .

ومس بيتسى هى عمة أبى ، ولذلك فقد كانت تعتبر بالنسبة لى عمتى الكبرى . وكان اسمها الحقيقى مس بيتسى تروتوود . وكانت تعيش مع خدام واحد فى كوخ متواضع جوار البحر . وكانت قد تزوجت من قبل ، ولكن زوجها كان رجلاً سيئاً ، لذلك فقد طردته .

وكانت عمتى على علاقة طيبة مع أبى . ولكنها غضبت عليه حين تزوج أمى . وكانت عمتى تدعوها دائماً باسم « اللعبة الغبية » . ولهذا السبب تشاجرت مع أبى ولم تلتق به بعد ذلك اطلاقاً .

وعندما رأت أمى مس بيتسى تروتوود وهى تطل من خارج النافذة ، قامت بسرعة وفتحت باب البيت لتستقبلها .

— ألسنت أنت مسز كوبرفيلد ؟ .



فقالتمى :

- نعم .. أنا هى .. تفضللى بالدخول .

ودخلتمس بيتسى . وجلست السيدتان معا . ثم بدأت أمى فى البكاء ، فاستاءتمس بيتسى وقالت لأمى :

- أوه .. أوه ! .. لاتفعلى ذلك !

ولكن أمى استمرت فى البكاء . وعندئذ وضعت مس بيتسى يديها برفق حول وجه أمى ، وقالت لها برفق :

- يبدو انك مازلت طفلة صغيرة .. يجب أن تتناولى بعض الشاى .. ما اسم البنت ؟!

فقالتمى :

- لأعرف ان كنت حاملا فى ذكر أم أنثى ..
- أقصد البنت الخادمة التى تعمل عندك ..

– أه .. خادمتى اسمها بيجوتى .

فقامت مس بيتسى باستدعاء الخادمة ، وطلبت
منها احضار بعض الشاى .. ثم التفتت الى أمى
وقالت لها :

– نعود الى الحديث عن الجنين الذى مازلت
تحميلينه .. انى أرغب فى أن يكون أنثى .. ولابد أن
يكون أنثى .. وأنا أطلب منك أن تطلقى عليها اسم
« بيتسى تروتوود كوبرفيلد » . وأعدك بأن أكون
صديقة لها .. وعلى فكرة ، هل تعرفين شيئاً عن الطبخ
وامساك الحسابات والاشراف على ادارة منزل .. ؟!

فقالت أمى :

– لا أعرف كثيراً عن ذلك .. ولكنى أرغب فى
تعلم هذه الأشياء .

ثم شرعت أمى فى البكاء مرة أخرى . فقالت
عمتى :

- كفى عن البكاء .. حتى لاتمرضى وحتى لاتتأثر
بمرضك الطفلة التى ستلدينها .

وعندما أحضرت الخادمة بيجوتى الشاى ..
لاحظت ان أمى متعبة ، فذهبت على الفور لاجتماع
الطبيب . وبمجرد وصول الطبيب ، وكان اسمه
مستر شيليب ، صعد على الفور الى غرفة أمى .

ومرت عدة ساعات الى أن ظهر الطبيب مرة
أخرى نازلا على السلم . فأسرعت اليه عمتى وسالته فى
لهفة :

- هاه يادكتور .. كيف حالها ؟

فقال الطبيب :

- مسز كوبرفيلد فى حالة طيبة :

- ولكنى اسأل عن حال المولودة ..

وعندئذ قال الطبيب :

- آه .. لقد ولدت ذكرا !

ولم تنطق عمتى بكلمة واحدة . ولكنها هبت واقفة
واسرعت بالخروج من البيت .. ولم تعد اليه بعد ذلك
أبدا .. وهكذا كان مولدى .. أنا دافيد كوبرفيلد .. !

٢ - وبدأت أدرك الأشياء

ومن الذكريات المبكرة التى مازلت أتذكرها وجه
أمى وشعرها الجميل .. أما بيجوتى الخادمة
فلا أتذكر من ملامحها سوى عينيها السوداوين
وخدودها الحمراء مثل لون التفاح .. وأتذكر المطبخ
والدجاج الكثير الذى كان يجرى فى حوش البيت .
وكانت الدجاجات تبدو لى فى تلك الأيام كما لو كانت
أضخم منى ..

ومازلت أتذكر غرفة المعيشة والجلوس ، حيث كانت
أمى وبيجوتى تجلسان فى كل مساء .. ومازلت أتذكر

كذلك منظر البيت من الخارج ، حيث كانت تبدو نوافذ
غرفة النوم ٠٠ وكذلك اذكر منظر حديقة البيت والسرور
المرتفع الذى كان يحيط بها ٠ وفى تلك الحديقة كانت
هناك مجموعة من أشجار الفواكه ٠ ومازلت أذكر
كيف كانت أمى تقوم بجمع الثمار فى سلة كانت
تحملها ٠

وكنت أنا وأمى نخشى قليلا من الخادمة بيجوتى
وفى احدى الأمسيات كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة
المعيشة بجوار المدفأة ٠٠ وكنت اقرأ لها أحد الكتب ٠٠
وكنت متعبا لدرجة أنى لم أعد قادرا على الاحتفاظ بعينى
مفتوحتين ٠٠ ومع ذلك فقد كنت لاحظ ابرتها وهى
تدخل فى القماش وتخرج منه فى حركات رتيبة ٠
وتطلعت عندئذ الى وجهها ٠٠ وكانت تبدو فى نظرى
جميلة ٠

وسالتها فجأة :

- بيجوتى ٠٠ هل تزوجت من قبل ٠٠ ؟

فربت بسرعة لفتت انتباهى :

- لماذا يا دافيد .. وما الذى جعلك تفكر فى
موضوع الزواج ؟

فعاودت سؤالها من جديد :

- اقصد .. ألم تتزوجى من قبل ؟ .. فأنت
سيدة جميلة جدا .. أليس كذلك ؟!

ومرت فترة صمت قصيرة ، وعاودت بيجوتى
الخطابة بابرتها وهى تقول :

- أنا جميلة ؟! .. لا يا عزيزى الصغير !

ولكنى تساءات مرة أخرى :

- بيجوتى .. اذا كنت قد تزوجت رجلا ما ، ثم
مات هذا الرجل .. ألا يصبح فى مقدورك أن تتزوجى
رجلا آخر .. أليس كذلك يا بيجوتى .. ؟!

فقالت مترددة :

- بعض الناس يرغبون فى ذلك .. وبالنسبة لى
فانى لا أرى ضرورة لذلك .. ان وجهات نظر الناس
تختلف بالنسبة لهذا الموضوع .. !



- وماهى وجهة نظرك انت يا بيجوتى ؟ ..

وتمهلت بيجوتى قليلا قبل ان ترد :

- وجهة نظرى هى أن تستمر فيما كنت تقرأه ..

ولاحظت عندئذ أن صوتها كان يبدو غريبا . فنظرت اليها مستعطفا . وقلت :

- ألسنت غاضبة منى يا بيجوتى ؟ ..

فقامت على الفور ، وقبلت جبهتى وقالت :

- لا يا عزيزى .. ولكنى أرغب فى أن تسمعنى الكثير عن تلك الاشياء التى كنت تقرأها لى ..

وعلى هذا ، فقد واصلت القراءة ..

وبعد فترة سمعنا جرس الباب ، فذهبنا لنفتحه .. كانت أمى تبدو فى غاية الجمال ، وقد عادت الى البيت ومعها رجل كنت قد رأيته من قبل .. انه الجنتلمان الذى أوصلها الى البيت عندما خرجت من الكنيسة يوم الأحد الماضى .. وكان اسمه : مستر ماردستون ..

وانحنى أمي وقبلتني . وعندئذ قال الجنتلمان :

- يا عزيزي الصغير . . كم أنت محظوظ !

ثم وضع يده على رأسي ، فوضعت يدي على يده وأزاحتها .

فقال الرجل وهو يقبل يد أمي :

- ان حبه لك لا يدهشني !

ولكني أصبت بالدهشة وغضبت من ذلك . ولكن الرجل حياني قائلاً :

- تصبح على خير يا عزيزي الصغير !

فرددت تحيته ، ولكني لم أسلم عليه يدا بيد . وعندما استدار لينصرف التفت الى . . وكان يبدو بالنسبة لي رجلاً سيئ المنظر ، ولم أشعر نحوه بأي حساس من الحب .

وذهبنا الى غرفة المعيشة . وقالت بيجوتى التي كانت تقف منتصبة في وسط الغرفة :

– أرجو أن تكونى قد أمضيت أمسية طيبة يامسر
كوبرفيلد .

فقالتمى :

– شكرا لك . . كانت أمسية طيبة جدا . . !

وقالتمى بيجوتى :

– ان رؤية الغرباء أمر يبعث على السرور فى
بعض الأحيان .

فقالتمى بارتياح :

– تماما . . !

وجلست على أحد المقاعد ، وسرعان ما استغرقت
فى النوم . ولكنى سرعان ما تنبعت مستيقظا مرة
أخرى . ورأيت أمى وبيجوتى جالستين . ويدور بينهما
حديث متواصل . . وكانت عيونهما مغرورة بالدموع .
وكانتمى بيجوتى تقول :

– ان مستر دافيد كوبرفيلد لا يحب هذا الرجل !

فصاحت أُمى :

- أوه .. انك تدفعينسى الى الجنون .. كيف
تجسرين على الحديث معى بمثل هذه القسوة ؟ .. انت
تعرفين تماما انى بدون أصدقاء يهتمون بى أو أهتم
بهم !

فقالت بيجوتى على الفور :

- هذا هو السبب فيما أحدثك فيه .. لا يجب
ان تفعلى ذلك .. لا يجب .. !

- وماذا أفعل اذا كان البعض يحبوننى .. انى
لا استطيع أن أصدده .. ولا استطيع أن أجعل من نفسى
امراة قبيحة .. !

واتجهت أُمى نحوى وهى تقول بعطف :

- عزيزى دافيد .. انها تقول انى لا أحبك .. !

فصاحت بيجوتى قائلة :

- انى لم أقل ذلك اطلاقا !

– لا ٠٠ بل قلته ٠٠ قلته ٠٠ فهل أنا أم سيئة
بالنسبة لك يا دافيد ؟ ٠٠ هل أنا قاسية عليك أو غير
شفوفة بك ٠٠ انى أحبك يا دافيد ٠٠ اليس كذلك ٠٠ ١٩

ثم بدأنا نبكى جميعا ٠٠ وذهبت الى السرير
وبدأت استغرق فى النوم وأنا أحس بأن عيني مبللتان
بالدموع .

وفى يوم الأحد التالى ، خرجت أمى من الكنيسة
ومعها الجنتلمان ، وأخذا يتمشيان سويا صوب البيت .
وكان الرجل يريد أن يرى زهورنا المزروعة فى حديقة
البيت ، وطلب من أمى مستأذنا فى أن يقطف زهرة .

وعاد الرجل الى بيتنا بعد ذلك مرات ومرات . وقد
اعتدت على رؤيته ، ولكنى مع ذلك لم أكن أحبه .

وفى صباح أحد الأيام ، كنت مع أمى فى حديقة
البيت حين وصل مستر ماردستون راكبا على حصان .
وقال انه ينوى زيارة اصدقاء له موجودين فى مركب
شراعى بمنطقة اويستوفت . وارسلتنى أمى الى بيجوتى
بالدور العلوى ٠٠ ومن هناك كانت بيجوتى تنظر من

النافذة ، ورات أُمى ومعهما الجنتلمان وهما يسيران فى الطريق ٠٠ وغضبت بيجوتى من هذا المنظر ، فأخذت تمشط شعرى بعنف وبطريقة المقتنى ٠

وفى اليوم التالى ، أو ربما بعد ذلك قليلا ٠٠ طلبت منى بيجوتى أن أذهب معها لزيارة أخيها ٠٠ وكانت أُمى آنئذ خارج البيت بينما كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة المعيشة بجوار المدفأة ٠٠

نظرت بيجوتى الى وجهى عدة مرات . وكانت تفتح فمها كما لو كانت تريد أن تتكلم ، ولكنها كانت تغلقه على الفور وتظل صامتة ٠ ومع ذلك فقد قالت أخيرا :

— مستر دافيد ٠٠ هل ترغب فى الذهاب معى لزيارة أخى فى يارماوث ٠٠ ونبقى هناك لمدة اسبوعين ٠٠ ؟!

فسالتها :

— هل أخوك رجل طيب يابيجوتى ٠٠ ؟

- نعم .. انه رجل طيب .. وفى يارماوث سترى
البحر والمراكب والسفن والصيادين والرمال .. وهناك
ولد صغير اسمه هام يمكنك أن تلعب معه !

وتساءلت :

- ولكن ماذا ستقول أمى ؟

- أوه .. ستدعنا نذهب الى هناك .. وسأطلب
منها ذلك بمجرد عودتها الى البيت .. انها ستبقى مع
مسز جرابر ولن تكون وحدها ..

وهكذا تم ترتيب كل شيء .. ومرت أيام قليلة قبل
أن يحل موعد مغادرتى للبيت .. وركبت أنا وبيجوتى
عربة صغيرة مخصصة لنقل المسافرين وامتعتهم ..

ومازلت أذكر حتى الآن كم كنت شغوفاً بمغادرة
البيت .. وأحسست ساعتئذ كما لو كنت اغادره الى
الأبد ..

وأذكر تماماً كيف غمرتني أمى بالقبلات عند بوابة
البيت .. وبدأت أبكى .. وبدأت أمى تبكى أيضاً ..

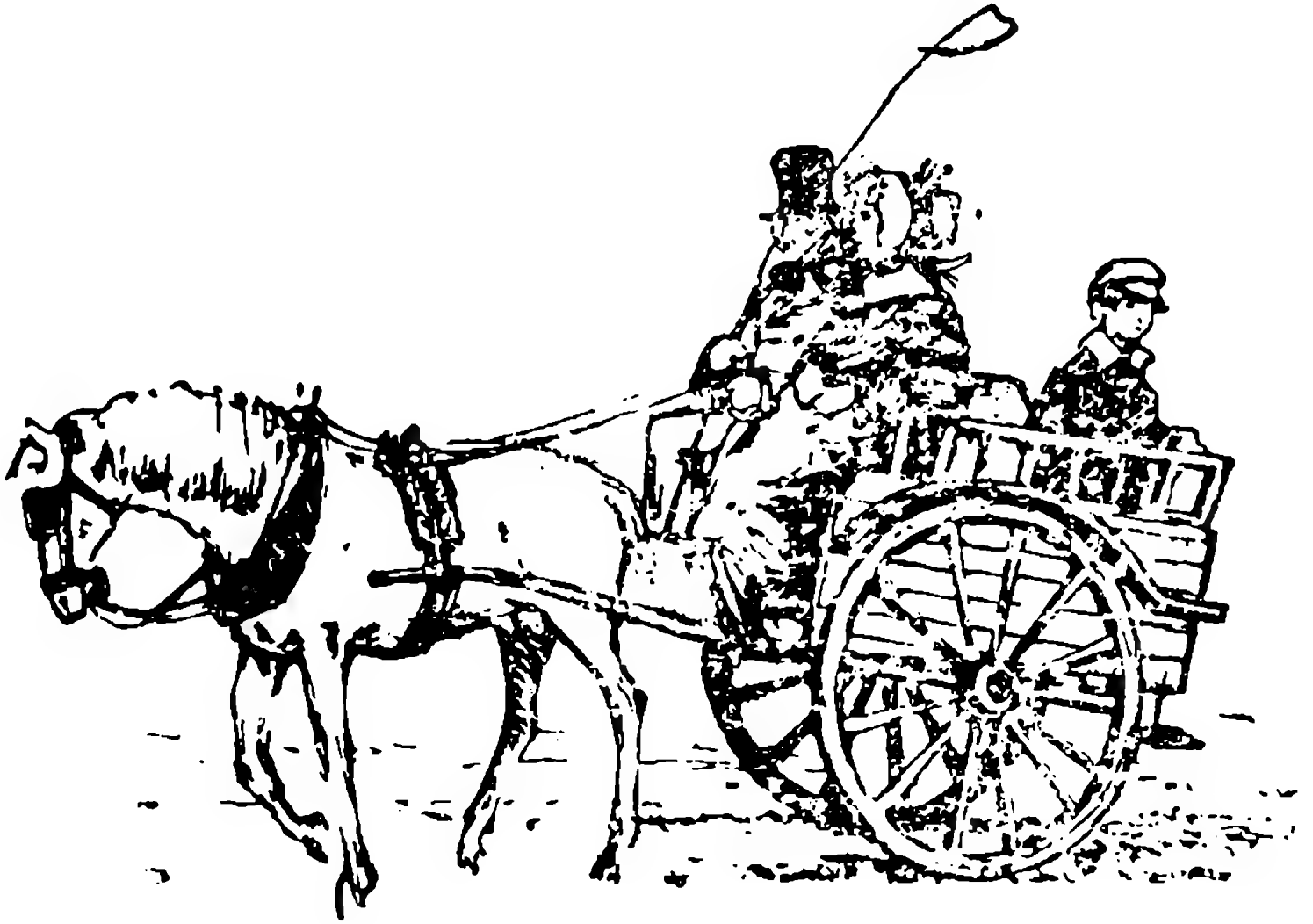
وعندما تحركت العربة خارجة من البوابة ٠٠ جرت
أُمي خلفها ، وطلبت من السائق أن يتوقف لتتمكن من
تقبيلي مرة أخرى ٠٠

ونظرت خلفي ٠٠ فرأيت انها مازالت واقفة على
الطريق ٠٠ ثم رأيت مستر ماردستون وهو قادم
نحوها ٠ وكان يبدو غاضبا عليها بسبب بكائها على
فراقى ٠٠ !

٣ - زيارة لمستر بيجوتى

كان الحصان الذى يجر العربى أكسل حصان فى العالم ، فقد كان يسير ببطء شديد وقد أحنى رأسه الى أسفل . وعلى طول الطريق كانت العربى تدخل الى بعض الحواري الضيقة لتسلم صندوقا فى أحد المنازل ، أو تسلم سريرا فى منزل آخر .

وكانت الخادمة بيجوتى تحمل على ركبتيها ربطة بها الكثير من أنواع الطعام . . . وقد أكلنا حتى شبعنا من الأكل ، ونمنا حتى شبعنا من النوم . ولكن الرحلة



عربة السفر

كانت طويلة وشاقة ومجهدّة ٠ وكم فرحت حين وصلنا
الى يارماوث ٠

كانت ضواحي المدينة اراضى واسعة منبسطة ٠٠
وكان البحر يبدو واضحا من خلال صفوف البيوت
المتناثرة هنا وهناك وفى كل مكان ، لدرجة يصعب
معه معرفة أين تنتهى المدينة ، وأين يبدأ البحر ٠٠

وسارت العربة عبر شارع تفوح منه رائحة السمك ،
ثم توقفت قرب حانة ٠ وعندئذ صاحت بيجوتى :

- هامو هام ٠٠ كم أصبح كبيرا هذا الفتى ٠٠ !
وبالفعل كان فتى يافعا ضخما ، تطول قامته الى
نحو ستة أقدام ، ولكن وجهه كان يبدو كوجه طفل
تعلوه خصلات من شعر مجعد ٠

كان هام يقف خارج الحانة منتظرا وصولنا ٠
وسرعان ما حملنى على ظهره وحمل صندوقى تحت
ذراعه ٠ وحملت بيجوتى صندوقا آخر ٠ وسرنا عبر
عدة حارات أرضها مغطاة بالرمال ٠ وتجاوزنا البيوت

التي يسكنها بناؤو السفن والمراكب ٠٠ ثم البيوت التي
يسكنها صناع الحبال ٠٠ ثم جميع البيوت والمصلات
الأخرى التي يسكنها أو يعمل بها مختلف أنواع الصناع
والحرفيين الذين يعملون في مختلف الأعمال والصناعات
المتعلقة بالسفن ٠٠ وأخيرا وصلنا الى مكان واسع
مفتوح ، أرضه مغطاة بالرمال .

وهنا قال هام :

— هامو بيتنا يا دافيد ٠٠ !

ونظرت الى مختلف أركان المكان ٠٠ ولكنى لم أر
بيتا على الإطلاق ٠٠ ولم يكن هناك سوى مركب كبير
أسود اللون ، تطل من أعلاه انبوبة من الحديد يخرج
منها الدخان ٠٠ وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أى نوع
من أنواع البيوت فى ذلك المكان . فتساءلت مندهشا :

— هل تقصد هذا الشيء الذى يبدو كما لو كان

قاربا ٠٠ !؟

وقال هام :

- نعم ٠٠ هذا بيتنا ٠٠ !

لقد سررت كثيرا من منظر هذا البيت العجيب من الخارج . فقد كان الباب يبدو مشقوقا فى جدار القارب . كما شقت أيضا بضع فتحات تستعمل كنوافذ صغيرة فى كل من جانبي القارب . وكان أعلاه مغطى بسقف من الخشب ٠٠ !

وازداد سرورى حين تأكدت من أن هذا البيت العجيب كان قاربا حقيقيا كثيرا ماكان يمخر عباب البحار ، ولم يقصد بناؤه أن يستعمل كبیت فى أى وقت من الأوقات ٠٠ ومع ذلك فكم كان ظريفا أن أعيث فى قارب مرتكز على الأرض وغير طاف على سطح المياه ٠٠ !

دخلنا البيت ، وكان نظيفا جدا من الداخل ٠٠ كانت هناك منضدة وساعة كبيرة معلقة على الجدار وبجوارها بعض الرسوم والصور . وكانت هناك مجموعة من المقاعد ومن الصناديق المستخدمة كمقاعد .

ثم فتحت بيجوتى بابا صغيرا يؤدى الى حجرة

صغيرة خصصت لنومى .. كانت حجرة لطيفة تقع
بمؤخرة القارب .. حوائطها بيضاء .. وفيها مرآة
محاطة بإطار من أصداف القواقع .

وكانت رائحة السمك تملأ هواء البيت كله .
وأخبرتني بيجوتى أن أخاها يعمل فى صيد القواقع .

وقد استقبلتنا بداخل البيت سيدة فى غاية الأدب
اسمها مسز جاميدج .. كما كانت هناك بنت صغيرة
اسمها اميلى .. فرت هاربة واختبأت عندما رأتنى .

وتناولنا الطعام .. وكان سمكا .. !

ثم ظهر بعد ذلك رجل له شعر كثيف ولكن اللون
يغطى رأسه وفوديه وخديه وذقنه .. وقام الرجل
بتقبيل بيجوتى بحرارة .. فقد كان أخاها مستر
بيجوتى .

كان رجلا طيبا .. وقال لى بصوت طيب :

- مرحبا بك عندنا يامستر دافيد .. انى فخور
بزيارتك لنا .. وأرجو أن تكون سعيدا معها (وأشار

الى مسز جاميدج (.. ومع هام .. ومع اميلى
الصغيرة !

وبعد ذلك تركنا وذهب ليفتسل .. وعندما عاد ،
كان وجهه أكثر احمرارا .. مثل لون القوقعة الذى
يتحول الى اللون الأحمر حين تغمر فى الماء .

وفى المساء جلسنا جميعا جوار المدفأة .. وعلمت
أن هام ليس ابنا لمستر بيجوتى ، ولكنه ابن شقيقه الذى
مات غرقا فى البحر .. كما علمت ان اميلى الصغيرة
بنت صهر مستر بيجوتى الذى مات أيضا .. أما مسز
جاميدج فقد كانت أرملة لصديقه مستر جاميدج الذى
كان يعمل معه فى نفس القارب ، ولكنه غرق فى البحر
منذ فترة طويلة ، ولم يعد لمسز جاميدج أى مأوى
سوى بيت صديق زوجها المستر بيجوتى ، فعاشت معه
فى نفس البيت .

وعندما توجهت للنوم .. كنت أسمع صوت الرياح
مختلطا بصوت أمواج البحر .. وحلمت بأن هذا



البيت القارب أخذ يشق طريقه فى البحر الواسع ..
وأن مستر بيجوتى كان القبطان !

وفى صباح اليوم التالى خرجت لأتمشى على
الشاطئ .. وكانت مع اميلى . وسالقتها :

- اعتقد أنك تحبين البحر .. ؟!

فاجابت على الفور :

- لا .. انى أخاف منه .. لقد رأيته وهو يحطم
قاربا كبيرا الى قطع صغيرة .. انه جبار وقاس على
رجالنا .. !

وظللنا نسير سويا الى أن وصلنا الى رصيف
ممتد كاللسان بداخل البحر مخصص لرسو السفن
والقوارب الكبيرة .. وظلت اميلى تسير وحدها
فوق هذا اللسان حتى وصلت الى حافته النهائية عند
المياه العميقة . ثم أخذت تجرى عائدة . فقلت لها
مدهشا :

– لقد قلت لى منذ لحظات أنك تخافين البحر ..
وهأنذا أراك لاتخافين منه ..

فقالتم اميلى :

– انى أخاف منه عندما تهب العواصف .. ولا
أخاف منه عندما يكون هادئاً .. مثل حالته الآن ..

لذلك فقد ضحكت من خوفى عليها حين كانت عند
حافة الرصيف عند المياه العميقة .. ومع ذلك فقد
شعرت فى بعض الاوقات فى حياتى المستقبلية التى
عشتها فيما بعد ، انه كان من الأفضل لو انها قد
سقطت فى البحر فى تلك المرة .

لقد أحببت اميلى الصغيرة .. كانت مجرد طفلة ..
وكنتم مجرد ولد صغير .. ولكن هناك شيئاً فى غاية
الجمال ينبثق دائماً من ذلك الحب النقى البسيط الذى
يربط أحياناً بين الأطفال الصغار .

كنا نتمشى دائماً على رمال شاطئ يارماوث ..
وكنا نقضى هناك الساعات تلو الساعات . وقد لاحظت

بيجوتى ومسز جاميدج مدى سعادتنا ٠٠ وتهامسنا
علينا :

– اليسا جميلين وهما يلعبان معا ٠٠ ؟!

وحين كان مسـتر بيجوتى يـرانا معا ٠٠ أنا
واميلى ٠٠ كان يبتسم خلف غليونه الموضوع فى فمه .

وقد لاحظت أن مسز جاميدج لم تكن سعيدة فى
كل الأحيان ٠٠ فعندما ذهب مسـتر بيجوتى فى احدى
الامسيات ليسهر مع بعض اصدقائه ، اعتل مزاج
مسـتر جاميدج واخذت تقول :

– انى وحيدة ٠٠ وكل الأشياء ضدى ٠٠

ثم اخذت تشكو من شدة البرد . فقالت لها بيجوتى :

– ان البرد كان شديدا طوال اليوم ٠٠ لقد شعرنا

كلنا به ٠٠

فقالت مسز جاميدج :

– ولكنى أشعر بهذا البرد الشديد أكثر من كل

الناس !



وعندما تناولنا طعام العشاء فى تلك الأمسية ..
كانت الأسماك صغيرة ومملوءة بالشوك ، وأغلبها كان
قد احترق اثناء طهيهِ . وجلسنا صامتين يلفنا شعور
شبيه بالحزن . أما مسز جاميدج فقد انخرطت فى
البكاء وهى تقول :

- انى اشعر بالحزن أكثر منكم جميعا .. !

وعندما عاد مستر بيجوتى الى البيت فى الساعة
التاسعة مساء .. كانت مسز جاميدج لم تنزل تبكى
وهى جالسة فى أحد أركان البيت اندهش مستر بيجوتى
وسألها :

- ماذا فى الأمر .. ولماذا تبكين هكذا .. كونى
مبتهجة .. !

فقالت :

- لقد ذهبت لتسهر خارج البيت .. وانى أسفة
لذلك .. وأشعر بانى السبب الذى دفعك الى الخروج
من بيتك .. !

فقال مستر بيجوتى ضاحكا :

- تقولين انك السبب الذى دفعنى للخروج ؟ ..
لم يكن هناك سبب يدفعنى للخروج سوى رغبتى فى
فعل ذلك .

فقالت مسز جاميدج وهى تذهب استعدادا للنوم :

- انى وحيدة .. ولا يحببنى احد .. واشعر
بالأشياء أكثر مما يشعر بها الناس الآخرون .. لقد
فشلت فى جعل نفسى مثلما أريد أن تكون .. وفشلت
فى جعل هذا البيت مريحا كما يجب !

وعندئذ قالت لى بيجوتى :

- انها تفكر فى الرجل القديم .

فتساءلت مندهشا :

- ومن هو هذا الرجل القديم ؟ !

فقالت ببساطة :

- زوجها الذى مات !

ومر الأسبوعان ، وانتهت زيارتي ، وحلت ساعة
الرحيل .. وشعرت بالحزن لاضطراري الى الافتراق
عن اميلي الصغيرة ..

وعندما كنا نتوجه الى المكان الذي ستقوم منه عربة
السفر ، سرت أنا واميلي ذراعا في ذراع .. وعندما
تحركت العربة شعرت بفراغ في قلبي .. برغم اني
كنت مسرورا بانني اصبحت في طريق العودة الى أمي .

وأعلنت سروري هذا لبيجوتي .. ولكنها لم تكن
مسرورة لذلك ، بل كانت في منتهى الحزن !

وأخيرا وصلنا الى البيت .. ومازلت الى الآن
أتذكر ذلك الجو البارد الذي كان يلفه ، وتلك السحابات
الداكنة المحملة بالأمطار التي كانت تعلوه ..

وفتح الباب .. فاندفعت جاريا صوبه والفرح
يفمرني . ولكني فؤجت بوجود خادمة غريبة
لا أعرفها . فسألت بيجوتي :

— ما هذا يا بيجوتي .. ألم تعد أمي الى البيت
بعد .. ؟ !

فقلت بيجوتى متنهدة وبتردد :

– نعم .. لقد عادت يا دافيد .. ولكن انتظر ..

فقلت وأنا أشعر باضطراب شديد :

– ماذا حدث ؟ .. لماذا لم تحضر أمى لتستقبلنى
عند باب البيت ؟ .. هل ماتت ؟ .. لا .. لا يمكن ان
تكون قد ماتت .. أليس كذلك ؟ !

وقالت بيجوتى :

– لا .. لم تمت .. وكان يجب على أن أخبرك
بهذا الأمر من قبل .. لقد أصبح لك الآن أب جديد ! ..
تعال لتراه !

وشحب لون وجهى .. وهى تتوجه بى صوب
غرفة المعيشة .. وهناك تركتنى ..

وعند أحد جانبي المدفأة كانت تجلس أمى .. وعند
الجانب الآخر ، كان يجلس مستر ماردستون ! ..

٤ - وابدات متاعبي

كانوا قد نقلوا حجرة نومي الى حجرة اخرى ..
وبمجرد ان رقدت على سريري ، سحبت الغطاء فوق
راسي ، واستغرقت في البكاء حتى اخذني النوم ..

واستيقظت على صوت يقول : هاهو !! .. وشعرت
ببداية تكشف الغطاء من فوق راسي .. ورأيت امي
وبيجوتي وقد جاءتا لترياني .. وقالت امي :

- دافيد .. ما الحكاية .. ؟

فقلت وانا ادير وجهي عنها :

- لا شيء .. !

والتفتت أمي نحو بيجوتي وقالت لها بحدة :

– انت التي افسدته .. لقد حدثته بكلام ضدى ..
أوه يا دافيد .. أيها الولد السيء .. أوه يا بيجوتي ..
أيتها المرأة السيئة .. هل أواجه كل متاعب ومصاعب
العالم لمجرد أنى تزوجت .. اليس من حقى أن اكون
سعيدة .. ؟!

وهنا شعرت بيد تهزنى .. لم تكن يد أمي ولا يد
بيجوتي .. كانت يد مستر ماردستون الذى كان يقول
لأمي فى نفس الوقت :

– ما هذا يا عزيزتى كلارا ؟ .. هل نسيت ماقلته
لك ؟ .. يجب أن تكونى حازمة !!

فقالت أمي كما لو كانت تعتذر :

– أنا أسفة يا ادوارد .. يصعب على أن اكون
حازمة !

فهمس فى أذنها ببضع كلمات .. وقد عرفت فيما

بعد انه مسيطر على أمى تماما ويستطيع أن يجعلها
تفعل أى شىء يرغب فيه . وقال لأمى بحزم :

- انزلى يا عزيزتى الى الدور الأسفل .. ودعيني
أنا ودافيد لكى نتفاهم سويا ..

وعندما خرجت أمى وبيجوتى من الحجرة ، قال لى
مستر ماردستون :

- دافيد .. هل تعلم كيف أروض حصانا ..
أو كيف أجعل كلبا يطيعنى .. ؟ !

- لا .. لا أعرف !

- انى أضربه .. انى أقول لنفسى : سوف
انتصر على هذا الحيوان .. سوف أضربه .. وأضرب
بشدة كل جزء فى جسده .. هل تفهم ما أقوله لك ..
نعم .. يبدو أنك قد فهمت .. هيا .. اغسل وجهك
وانزل معى الى الدور الأسفل !

وعندما وصلنا الى غرفة المعيشة بالدور الأسفل ،
قال مستر ماردستون لأمى :

– كلارا يا عزيزتى ٠٠ لن تشعرى بالمتاعب التى
يسببها لك هذا الولد مرة أخرى ٠٠ !

وبعد أن تناولنا طعام العشاء فى ذلك اليوم ،
توقفت احدى العربات جوار باب بيتنا ٠٠ ونزلت منها
مس ماردستون ٠٠ أخت مستر ماردستون ٠٠ وكانت
تحمل معها صندوقين أسودين لهما مقابض حديدية ،
وتضع نقودها فى حقيبة صغيرة مصنوعة من الحديد ٠٠
لقد كانت امرأة حديدية !!

نظرت الى شذرا ٠٠ وقالت وهى تسلم على بيدها :

– انى لا أحب معظم الأولاد ٠٠

وقال مستر ماردستون :

– هذا ولد عديم الأخلاق !

وفى صباح اليوم التالى تجمعنا جميعا حول مائدة
الافطار ٠٠ وسمعت مس ماردستون تقول لأمى :

– والآن يا كلارا ٠٠ لقد جئت لمساعدتك ٠٠ انك
جميلة جدا ٠٠ وليست لديك أية فكرة عما أستطيع أن

أعمله من أجلك .. وإذا أعطيتنى جميع مفاتيح البيت .
فسوف أستطيع أن أتدبر جميع شئون هذا البيت من
الآن فصاعدا ..

وعلى الفور بدأت أمى فى البكاء .. فقال لها
مستر ماردستون :

– كلارا ! .. انى مندمش لذلك .. !

فقالت أمى وهى تحاول أن تكفكف دمعها :

– انك تتحدث عن « الحزم » وعن « الانضباط » ..
ولكنك تتناقض مع نفسك .. من المؤلم جدا أن أكون
فى « بيتى » ولا

فقاطعها على الفور :

– « بيتى » ! .. هل قلت « بيتى » ؟ !

فقالت أمى مستدركة وقد بدا عليها الخوف :

– أقصد « بيتنا » .. من المؤلم جدا أن أبدؤ غير
قادرة على القيام بالاشراف على ادارة بيتنا .. او

عاجزة عن القيام بأعمال هذا البيت .. وانى على يقين
من انى كنت أدير هذا البيت ادارة حسنة قبل ان
تزوج .. اسأل بيجوتى ..

وهنا قالت اخته مس ماردستون بحزم :

- ادوارد .. سأرحل غدا !

فرد عليها اخوها بحزم اكثر :

- مس جين ماردستون .. الزمى الصمت !!

والتفت الى أمى وقال لها :

- كلارا .. عندما تزوجتك كنت أمل فى أن أمنحك
القدرة على الحزم والانضباط .. لأنك تحتاجين الى
ذلك .. وعندما تعطفت أختى جين ماردستون وجسأت
لتساعدنى فى ذلك .. فقد كنت أتوقع أن تشكرىها على
هذا العطف .. أما هذا الكلام الذى تقولينه .. فانه
يسبب ألى ويغير مشاعرى ..

فقالت أمى وهى تبكى :

— أوه .. : لا تقل مثل ذلك .. انى شاكرة لها ..
ودعنا نصبح أصدقاء .. انى لا أستطيع أن أعيش
بين ناس لا يعطفون على ..

وعندئذ التفت مستر ماردستون الى وقال :

— دافيد .. هذا كلام لا يناسك .. غادر الغرفة
فوراً .. !

واغرورقت عيناى بالدموع لدرجة كنت لا أستطيع
معه رؤية الباب .

وهكذا تولت مس ماردستون كل شئون البيت ..
واذا حدث أن نطقت أمى بكلمة أو أبدت أية فكرة أو
ملاحظة ، فان مس ماردستون كانت تفتح حقيبتها
الحديدية على الفور ، وتبدو كما لو كانت ستعيد
المفاتيح .. وعندئذ كانت أمى تخاف وتلزم الصمت .

وكان من المفروض أن تقوم أمى باعطاء
الدروس .. ولكن مستر ماردستون واخته يحضران
دائماً ساعة الدرس .. وينتهزان هذه الفرصة لتلقين
أمى دروساً فى كيفية الحزم والانضباط ..



فى الماضى ٠٠ اى قبل ان تتزوج اُمى ٠٠ كنت
أتمتع بأوقات الدروس وأتعلّمها بسهولة ٠٠ ولكن هذه
الدروس أصبحت الآن - بحضور مستر ماردستون
وأخته - شيئاً يبعث الخوف والألم : أصبحت محاكمة
يومية محزنة لى ولأُمى ٠٠

وفى احدى المرات ٠٠ تقدمت الى اُمى ومعى
الكتاب ٠٠ وسلمته لها مفتوحاً لكى ترى كيف حفظت
الدرس ٠٠ وبدأت فى تلاوة الدرس بسرعة قبل أن يطير
من ذهنى ٠٠ ولكنى كنت مضطرباً بسبب حضور مستر
ماردستون وأخته ، لذلك فقد أخطأت فى كلمة ٠ وعندئذ
نظر الى مستر ماردستون شذراً فأخطأت فى كلمتين ٠٠
فنظرت الى أخته مس ماردستون شذراً فنسيت على
الفور ست أو سبع كلمات ٠٠ وكانت اُمى تحاول أن
تساعدنى ولكنها لم تجسر على فعل ذلك ٠ وقالت لى :

- أوه يادافيد ٠٠

وهنا تدخل مستر ماردستون قائلاً لها :

- كلارا ٠٠ لابد أن تكونى حازمة ومنضبطة مع

الولد .. لاتقولى له : أوه يادافيد .. بل انظري
للموضوع هكذا : هل حفظ هذا الولد درسه أم لا .. ؟

وقالت مس ماردستون على الفور :

- لا .. لم يحفظ درسه .

بينما قالت أمى :

- أخشى ألا يكون قد حفظه ..

فقالت مس ماردستون :

- اذن اعيدى اليه الكتاب ، وقولى له أن يحفظ
درسه جيدا .

فقالت أمى بارتياح :

- هذا ماكنت أنوى أن أعمله بالفعل .. تعال
يادافيد .. خذ الكتاب وحاول مرة ثانية .. ولا تكن
غبيا .. !

وحاولت مرة اخرى .. ولكنى فشلت فعمل مستر
ماردستون حوكة تدل على نفاذ الصبر وكذلك فعلت
أخته .. بينما كانت أمى تحاول أن تحرك شفيتها

لتساعدنى . فشخطت فيها مس ماردستون صائحة :

— كلارا . . !!

وعندئذ نهض مستر ماردستون من مقعده . . وأخذ الكتاب . . وضربنى به على رأسى . . وألقى بى خارج الغرفة .

هكذا كنت أتلقي دروسى يوما وراء يوم . . وحتى عندما كنت أحفظ الدروس جيدا . . كان مستر ماردستون وأخته يكلفانى بمزيد من الواجبات . . وكانا لا يطيقان أن يريانى غير مكلف بواجب .

وهكذا تبددت سعادتى . . وأصبحت كثير الصمت . . ومع ذلك فقد كانت سعادتى الوحيدة فى الأوقات التى اقضيها متفحصا الكتب التى تركها أبى ، والتى عثرت عليها فى حجرة مجاورة لحجرتى . . عثرت على « روبنسون كروزو » وعلى كتب الرحلات والعديد من الكتب الأخرى . . وكانت هذه الأوقات هى العزاء الوحيد الذى يساعدنى فى الهروب من شقائى وتعاستى . .

٥ - وضربنى ..

ذات صباح ، توجهت الى غرفة المعيشة ومعى كتاب الدروس . . . وكانت أمى تبدو قلقة . . . وكانت مس. ماردستون تبدو حازمة . . . أما مستر ماردستون فكان يمشك فى يده عصا غليظة .

والتفت مستر ماردستون الى أمى وقال لها :
- لا تهتمى كثيرا بهذا الأمر ياكلارا . . . فأنا نفسى ضربت كثيرا عندما كنت فى مثل سنه . . .
وقالت ماردستون مؤمنة على كلامه :
- نعم . . . هذا صحيح . . .

فسالتها أمي :

**- ولكن هل تعتقدين أن الضرب قد أصلح
ادوارد ٠٠ ؟!**

فردت عليها فوراً:

- وهل تعتقدين أن الضرب كان يؤله ٠٠ ؟!

**والتفت الى مستر ماردستون وقال لي وهو يمسك
بالعصا :**

**- والآن يادافيد ٠٠ يجب أن تهتم بدروسك بقدر
أكثر من المعتاد !**

**وفي الحقيقة ٠٠ فقد أصبحت كارها لاجباري على
تلقي دروسي بتلك الطرق المرعبة ٠٠ وكانت حالتني
تزداد سوءا ٠٠ وأصبحت غير قادر على التذكر ٠٠
ولاحظت أن أمي قد بدأت تبكي ، فنظرت اليها مس
ماردستون وشخبطت فيها :**

- كلارا ٠ !

فقالت امى كما لو كانت تبرر موقفها :

- يبدو انى لست على مايرام هذا اليوم .. !

فرد عليها مستر ماردستون قائلاً :

- كلارا .. يبدو انك لست حازمة بقدر كاف لكى
تتحملى المتاعب التى يسببها لك هذا الولد ..

والتفت الى وقال :

- دافيد .. لابد ان تصعد معى الى الدور
العلوى ..

وعندما كان يقودنى خارج باب الغرفة ، اندفعت
امى نحوى . ولكن مس ماردستون أمسكت بها وهددتها
قائلة :

- كلارا .. كم انت غبية !

وسمعت امى وهى تبكى بشدة بينما كنت أصعد
الى الدور العلوى مع مستر ماردستون . وعندئذ توصلت
اليه وانا ابكى :

– أرجوك ياسيدي .. اتوسل اليك الا تضربني ..
لقد بذلت كل جهدي في حفظ دروسى .. ولكنى أفقد
القدرة على التعلم عندما تكون أنت ومس ماردستون
بالقرب منى !

وفجأة ، أمسك برأسى ووضعها تحت ذراعه ..
فاضطرت الى أن أعض يده .. وعندئذ بدأ يضربنى
ضرباً مبرحاً كما لو كان يريد أن يقتلنى .. وكانت
هناك ضجة كبرى .. فكلما استمر فى ضربى .. كلما
كنت أصرخ بأعلى صوتى .. وبرغم كل هذه الضجة ،
سمعت أقدام أمى وبيجوتى وهما تصعدان درجات السلم
وكانتا تبكيان وتصرخان بشدة .

وعندئذ توقف مستر ماردستون عن الضرب ..
وخرج من الغرفة ، وأغلق على بابها .. !

وبعد فترة ، بدأت أمى .. وأخذت اتصنت ، فلم
أسمع فى البيت صوتاً .. ونظرت الى وجهى فى
المرآة .. كان أحمر ومتورماً فشعرت بالخوف ...

وازداد احساسى بسوء حالتي .. واعتقدت اني قد
ارتكبت شيئا فظيحا .. واخذت افكر فيما ياترى
سيفعلونه بي .. هل سيرسلوني الى السجن .. ؟!

وشعرت بباب الغرفة وهو يفتح .. ودخلت مس
ماردستون .. ووضعت على المائدة بعض الخبز وقليل
من اللبن .. ونظرت الى بحزم .. ثم خرجت واغلقت
الباب مرة أخرى ..

٦ - وأرسلوني الى المدرسة

واستيقظت صباح اليوم التالى نشطا وسعيدا ..
ولكنى سرعان ماتذكرت تلك التجربة المؤلمة التى
عانيتها ومازلت أعانيها .. وخيل الى أنهم ينوون
شنقى .. أو يفعلون بى أشياء أخرى لا أعرفها ..
وظللت سجيناً فى تلك الغرفة لخمسـة أيام متعاقبة .
مرت كما لو كانت سنوات طويلة .. وكنت أتصنت على
كل الأصوات التى تحدث فى البيت .. وقع الأقدام ..
وصوت الجرس عندما يدق .. وكل الأصوات الأخرى
التي تحدث فى الشارع ..

وفى اليوم الأخير ، سمعت صوتا يهمس باسمى
فاقتربت من الباب وقلت متلهفا :

- أهذه أنت يا عزيزتى بيجوتى ؟ !

- نعم يادافيد .. وتكلم بصوت منخفض حتى
لاتسمعنا !

وكانت تقصد بذلك مس ماردسستون بالطبع ..
وسالتها بصوت منخفض :

- كيف حال أمى ؟ .. هل هى غاضبة منى ؟ !

وسمعت نهنهة بكاء بيجوتى وهى تقول :

- لا .. ليست غاضبة .. !

- وماذا سيفعلون بى يا عزيزتى بيجوتى ؟ هل
تعرفين ؟ !

- نعم .. نعم .. سيرسلونك الى مدرسة قرب
لندن .

- متى يابيجوتى ؟ .. ؟

— غذا ۰۰ !

ثم وضعت بيجوتى فيها قرب ثقب مفتاح الباب ۰۰
وهمست بحنان :

— عزيزى دافيد ۰۰ لقد مر وقت طويل دون أن
أراك ۰۰ ولم يكن ذلك بسبب انى لا احبك ۰۰ بل على
العكس ۰۰ لقد امتنعت عن زيارتك لأن ذلك افضل بالنسبة
لك وبالنسبة لأمك ۰۰ فانا أخشى غضب مستر ماردستون
وأخته علينا جميعا ۰۰ وربما سيأتى اليوم الذى ستعرف
فيه أمك انى مخلصه لها وتعود من جديد لتضع رأسها
فوق كتفى ۰۰ وأعدك بأنى سأكتب لك يا عزيزى ۰۰

واختنقت كلماتها بعد أن بدأت فى البكاء ۰۰
فقلت لها :

— شكرا لك يا عزيزتى بيجوتى ۰۰ وهل يمكنك
أن تكتبى الى أخيك مستر بيجوتى وإلى أميلى الصغيرة
لتطمئنهم على حالى ۰۰ وانى لست فى حالة سيئة
كما قد يظنون ۰۰ وانى أرسل تحياتى وحبى لهم

جميعا .. خصوصا اميلى الصغيرة .. أرجو أن
تكتبى لهم بهذا !

ووعدتنى بيجوتى بذلك ..

وفى صباح اليوم التالى جاءت مس ماردستون
وأخبرتني بأنهم قرروا إرسالى الى المدرسة .. وعندما
توجهت معها الى مائدة الافطار .. رأيت أمى جالسة
وقد احمرت عيناها من كثرة البكاء .. ومع ذلك فقد
قالت

.. يا دافيد .. حاول أن تكون ولدا طيبا ..

لقد جعلوها تصدق انى ولد سيئ .. وحاولت
أن اتناول طعامى .. ولكن دموعى تساقطت على الخبز
والزبد ..

وعندما وصلت العربية التى ستحملنى الى باب
البيت ، وضعوا فيها صندوقى .. ولم تحضر بيجوتى
لتوديعى .. وحضرت أمى ومعها مس ماردستون التى
قالت لها بحزم :

- كلارا .. كوني حازمة !

فقالتمى طائعة :

- حاضر يا عزيزتى جين .. وداعا يا دافيد ..
انت ذاهب لمصلحتك .. وداعا يا بنى .. وسوف تعود
الى البيت فى فترة الاجازة .. وكن ولدا طيبا افضل
من ذلك !

وعندما اغرورقت عيناها بالدموع . صاحتم فىها
مس ماردستون :

- كلارا .. !

فقالتمى :

- نعم يا عزيزتى جين .. ليرعاك الله يا دافيد !
وهنا اخذتمنى مس ماردستون وأجاستمنى فى
العربة .. وبدأ الحصان الكسول يتحرك ببطء ..



11

12

13

14

15

16

الجزء الثاني

المدرسة

٧ - فى الطريق الى المدرسة

وظللت أبكى الى أن ابتل مندىلى تماما من كثرة
ما ذرفته من دموع .. وفجأة أوقف السائق العربى .
وتعجبت لماذا توقف .. ولكنى رأيت بيجوتى وهى تقفز
الى داخل العربى وأخذت تقبلنى ..

وأعطتنى بعض أكياس من الورق مملوءة بالكعك ..
كما أعطتنى كيسا صغيرا به بعض النقود .. ثم نزلت
من العربى وأخذت تجرى .. وعندئذ بدأت العربى فى
التحرك من جديد .

وبعد فترة توقفت عن البكاء .. ووضع السائق

مندبلى فوق ظهر الحصان ليحف ٠٠ وفتحت كيس النقود ، فوجدت به ثلاثة شلنات لامعة براقه ، كما وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها: « الى دافيد ٠٠ مع حبي ! »

وسالت سائق العربى :

- هل سنظل هكذا حتى نصل الى هناك ٠٠ ؟

- اين « هناك » هذه ٠٠ ؟

- هناك ٠٠ الى لندن ٠٠

- الى لندن ؟ ٠٠ ان هذا الحصان سيموت

قطعا قبل ان يصل الى نصف الطريق الى هناك اننا سنذهب فقط الى يارماوث ٠٠ ومن هناك ستركب عربى سفر كبيرة ستأخذك الى لندن ٠٠

كانت هذه خطبة كبيرة وطويلة بالنسبة الى مستر

باركيس ٠٠ وهو اسم سائق العربى ٠٠

واعطيته كعكة ٠٠ فوضعها فى فمه وابتلعها مرة

واحدة ٠ وسالنى بعد فترة :

- هل هي اننى صنعت هذا الكعك ؟

فقلت له :

- هل تقصد بيجوتى ياسيدى ؟ نعم هي التى
صنعتة .. وهى تقوم بكل أعمال الطبخ ..

واخذ مستر باركيس يحملق فى اذننى الحصان وهو
مستغرق فى التفكير . ثم سألنى :

- هل لها زوج ؟

- لا ياسيدى .. انها غير متزوجة .

وظل يحملق فى اذننى الحصان ، ثم قال مرة اخرى :

- وهى التى تقوم بكل أعمال الطبخ ؟

- نعم ..

- اعتقد انك ستكتب لها مستقبلا ..

- نعم ساكتب لها ..

وعندئذ اُدار مستر باركيس عينيه نحوى ونظر الى
راجيا .

— عندما تكتب اليها . . قل لها ان « باركيس مستعد » (١) .

فتساءلت دون ان افهم قصده :

— باركيس مستعد ؟ . . هل هذه كل رسالتك . . ؟ !

فقال بهدوء ويبطىء :

— نعم . .

— ولكنك يامستر باركيس سستمر ببيتنا غدا . .
ليس من الأفضل أن تبلغها رسالتك بنفسك ؟ . .

فقال بهدوء مرة اخرى :

— ابلغها بأن « باركيس مستعد » . . هذه هي كل رسالتي .

وعندما وصلنا الى يارماوث ، قالت السيدة التي تدير الحانة ان عشائي جاهز . واقتادتني الى صالة واسعة . وأحضر الخادم عشائي وهو يقول :

(١) عبارة تعنى انه يعرض عليها الزواج به .

— هذا عشاء به كمية من الطعام أكثر من حاجة
ولد صغير .. هل تدعنى أساعدك فيه .. دعنا نرى
من يأكل أكثر من الآخر !

وبالطبع فقد أكل الخادم أكثر منى .. أكل كل
العشاء تقريبا .. وطلبت منه أن يحضر لى بعض
الأوراق لأكتب رسالة الى بيجوتى . وكتبت :

« عزيزتى بيجوتى .

وصلت بالسلامة الى يامساوث .. و « باركيس
مستعد » .. أبلغى أمى بحبى .

المخلص لك والذى يحبك كثيرا .

دافيد .

ملحوظة : هو يقول انه حريص على أن تعرفى ان
« باركيس مستعد » .

وسالنى الخادم :

— هل انت ذاهب الى المدرسة ؟ .. ؟

- نعم ..

- وأين تقع هذه المدرسة .. ؟

- بالقرب من لندن .. هذا كل ما أعرفه عنها .

- أوه .. انى أسف لذلك !

فقلت مندهشا :

- لماذا .. ؟!

- انها المدرسة التى يكسرون فيها ضلعين من صدر
كل ولد !

ولم يسعدنى هذا الكلام طبعاً ..

وبعد فترة وصلت عربية السفر الكبيرة الى باب
الحانة الخارجى ، وأوصلتنى السيدة التى تدير الحانة
الى العربية وهى تنظر الى بدهشة وقالت :

- هل التهمت كل طعام العشاء دون أن يساعدك

حد ..

ونادت على الخادم :

- جورج .. ان هذا الولد سينفجر من كثرة
ما اكل !!

وتحركت عربة السفر وأخيرا وصلت الى لندن في
صباح اليوم التالى .. وهناك كان ينتظرني أحد
المدرسين الذين يعملون فى المدرسة . كان اسمه مستر
ميل . وقلت له انى لم أتناول افطارى .

فقال :

- سنشتري بعض الطعام .. وسوف اذهب لزيارة
سيدة عجوز .. وستتناول طعام افطارك عندها ..

ومشينا مسافة قصيرة ، الى ان وصلنا الى أحد
ملاجئ الفقراء والمعزة التى يبنها بعض الأغنياء
المحسنين لايواء المعوزين من الناس . ودخلت مع مستر
ميل الى داخل الملجأ . وسمعت صوت سيدة عجوز
تناديه :

- عزيزى شارلى !

وعرفت انها أم مستر ميل ..

وبعد أن تناولنا افطارنا سويا، قالت السيدة العجوز
لابنها :

- هل أحضرت صفارتك ياشارلى ؟
وأخرج مستر ميل صفارته وبدأ يعزف لنا
وكان أسوأ عزف سمعته فى حياتى ..

وبعد أن خرجنا من الملجأ ، ركبنا عربة سفر أخرى
أوصلتنا الى بلا كهيث .

ثم سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى بيت مبنى
من الطوب وله باب علقت عليه لافتة مكتوب عليها :
« سالم هاوس » .

وفتح الباب . وظهر رجل له ساق خشبية .

وقال له المدرس :

- هذا هو الولد الجديد .

كان « سالم هاوس » هذا عبارة عن مبنى مربع
الشكل له مظهر حزين .. وقادنى الرجل الى أحد
الفصول .. وهو مكان محزن وفارغ تماما وليس فيه
أحد غيرى . وكانت هناك ثلاثة صفوف طويلة من مقاعد
التلاميذ .. وقصاصات كثيرة من الورق متناثرة على

الأرض .. وكانت الجدران كلها ملوثة بالحبر كما لو
كان السقف قد أمطر حبرا .. وكانت رائحته كريهة
لاتطاق .

وفى ذلك الفصل قضيت عدة أيام وحيدا .. ولم
أكن أرى أحدا سوى مستر ميل ، فالأولاد لم يعودوا
بعد من الأجازة ، كما أن مستر كريكل ناظر المدرسة
مازال يقضى عطلته بعيدا على شاطئ البحر .

وكننت أتناول وجباتى مع مستر ميل فى صالة
الطعام الواسعة الخالية . ثم نعود الى الفصل ..
وينهمك هو فى الكتابة لفترة طويلة وعندما كان ينتهى
من ذلك كان يخرج صفارته ويبدأ فى عزف الألحان
الحزينة ..

أما أنا ، فكنت أقضى وقتى فى القراءة .. أو فى
الاستماع الى تلك الألحان الحزينة .. وعندما كننت
أتوجه للنوم كل مساء ، كنت أجهد نفسى بالبكاء حتى
أتمكن من النوم وحدى فى تلك الحجرة الكبيرة الواسعة
الملوثة بالأسرة الخالية ..

٨ - وقابلت العديد من الناس

وأخذ الرجل ذو الساق الخشبية ينظف جميع الأركان بمبنى المدرسة . وعلمت أن ناظر المدرسة مستر كريكل سيصل فى المساء . وقبل أن يحل موعد نومى بقليل ، استدعانى الرجل ذو الساق الخشبية لمقابلة الناظر .

كان مستر كريكل بدينا . وكان يجلس فى حجرته على مقعد ذى مساند جانبية . وكانت زوجته مسز كريكل وابنته مس كريكل موجودتين بالحجرة . وبمجرد دخولى قال الناظر :

– هاه ٠٠ هاهو الجنتلمان الصغير الذى يعرض ٠٠
لقد أخبرنى مستر ماردستون بأنك تعرض ٠٠ أنا أعرف
مستر ماردستون جيدا ٠٠ انه رجل قوى الشخصية ٠٠
وأنا أيضا قوى الشخصية ٠٠ وعندما أقول انى سأفعل
شيئا ما فلا بد أن أفعله ٠٠ !

وشعرت بخوف شديد ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، وصل مدرس آخر اسمه
مستر شارب ٠ وكان تومى ترادلز أول العائدين من
الاجازة من تلاميذ المدرسة ٠ ثم وصل بعد ذلك أولاد
آخرون ٠

وعندما وصل ج ٠ ستيرفورت ، أخذونى اليه كما
لو كانوا يأخذوننى الى القاضى ٠٠ كان جالسا تحت
دروة فى فناء الملعب ٠٠ وهو اكبر الأولاد سنا ولذلك
فقد كانوا يعتبرونه رئيسهم ٠ وكان يتمتع بذكاء خارق
ومنظر حسن ٠

سألنى ستيرفورت :

– كم معك من النقود ٠٠ ؟

فقلت له على الفور :

.. سبعة شلنات .

- اذن اعطهم لى .. سوف أحفظ هذه النقود من أجلك ..

وأعطيته النقود . فقال :

- ربما توافق على صرف بعض هذه النقود للاشتراك فى شراء وليمة سنأكلها فى حجرة النوم .. فوافقت ..

وفى تلك الليلة ، انعقدت الوليمة فى حجرة النوم ، وجلسنا جميعا نتسامر ونتحدث فى همس وعلمت الكثير من أخبار المدرسة وأسرارها .

علمت أن مستر كريكل ناظر المدرسة يضرب الأولاد بشدة وباستمرار .. وأنه لايعرف شيئاً .. وأنه كان صاحب متجر صغير قبل أن يبدأ مشروع هذه المدرسة .. وعلمت أنه لايجسر اطلاقاً على ضرب ج . ستيرفورث .

وعلمت أيضا أن المدرسين مستر شارب ومستر
ميل لا يحصلان إلا على أجر قليل .. كما علمت أن مسز
كريكل زوجة الناظر معجبة جدا بستيرفورث .

وأخيرا قال لي ستيرفورث :

- تصبح على خير يا كوبرفيلد الصغير .. سوف
أرعاك وأعتني بك !

فقلت له :

- شكرا لك .. أنك شديد العطف !

٩ - لعام الدراسي الأول في سالم هاوس

بدأت الدراسة في اليوم التالي . ومازالت اذكر الضجة الشديدة الصاخبة التي كانت تحدث في حجرة الدراسة ، والسكون والصمت المفاجيء عند ظهور مستر كريكل .

ويبدو أن مستر كريكل كان يجد متعته الخاصة في ضرب الأولاد . . وكان يضرب تراديلز أكثر من كل الأولاد الآخرين .

وواصل ستيرفورث حمايته لي . وكنت أحكي له ما أعرفه من القصص في كل مساء ، وكان يساعدني

فى مذاكرة دروسى ٠٠ وكذلك كان مستر ميل يساعدى
فى المذاكرة ، شعرت بأنه يحبنى ويعطف على أكثر من
الأولاد الآخرين

وكنى أقالم بشدة من المعاملة السيئة التى يمارسها
ستيرفورت ضد مستر ميل ٠٠ فقد كان يعامله بدون
احترام ، ويفعل كل شىء يؤذى مشاعره ويجرح
احساساته ٠٠ وكان يحرض الأولاد الآخرين ويشجعهم
على السخرية به .

وشعرت بأننى أخطأت خطأ كبيرا حين أخبرت
ستيرفورت بأن أم مستر ميل سيدة عجوز تعيش فى
ملجأ للفقراء والعجزة ٠٠ فقد كنت أخشى أن يشيع
ستيرفورت هذا الخبر بين الأولاد الآخرين لزيادة
السخرية بمستر ميل وجرح مشاعره ٠٠

وهكذا مرت أيام الدراسة يوما وراء يوم ٠٠ الى
أن جاء يوم سأظل أنكره طول حياتى .

كان يوم سبت ٠٠ وقد أجبرنا المطر المنهمر الى

قضاء فترة بعد الظهر بداخل حجرة الدراسة . وكان
مستر شارب قد انصرف ، وبقي معنا مستر ميل .

كان الأولاد يحدثون ضجيجا وصخبا أكثر من
المعتاد . . كانوا يجرون ويتقاذزون هنا وهناك . .
ويضحكون . . ويصرخون . . ويغنون . . ويرقصون . .
ثم أخذوا يتحلقون حول مستر ميل ويحلقون بأعينهم
فيه . . ويخرجون السننهم له . . ويسخرون من ملابسه
الفقيرة الرثة . . ومن حذائه البالي المثقوب . . ومن
أمه . . !!

كان هذا شيئا فظيحا ومؤلما . . وكان الأولاد
يدورون حوله كما تدور الكلاب حول حيوان جريح .
ومع ذلك ، فقد ظل مستر ميل جالسا في سكون وقد
أسند رأسه على يده محاولا القراءة في كتاب . . أو
لعله كان يتظاهر بأنه منهمك في القراءة .

ولكن فجأة ، قفز مستر ميل من مقعده وهب واقفا
وأخذ يصيح :

— اسكتوا جميعا .. ما هذا الذى تفعلون ..
مامعناه .. من المستحيل أن أتحمل ذلك .. انكم تدفعوننى
الى الجنون .. كيف تجرؤون على فعل ذلك يا اولاد !
والقى بالكتاب بعنف فوق مكتبه ..

وحل الصمت عندما توقف بعض الأولاد عن
الاستمرار فى تلك السخرية المريرة .. ولكن ستيرفورث
وقف فى آخر الفصل وأخذ يصفر .. فقال مستر ميل :

— اسكت يا ستيرفورث !

ولكن ستيرفورث قال :

— اسكت أنت !

— اجلس !

— اجلس أنت !!

وضحك الكثير من الأولاد ، وشحب لون وجهه
مستر ميل وهو يقول :

– لقد رأيتك وانت تحرض الأولاد ضدى وتنهتهم
على السخرية بى .. انك الولد المفضل لدى الناظر ..
وانت تستغل هذا المركز لتسخر وتشتتم وتسب سيدا
مثلنى ..

فقال ستيرفورت على الفور :

– سيدا ؟! .. هل تظن نفسك سيدا ؟! .. انك
مجرد شحاذ !!

وخيل لى أن ستيرفورت كان ينوى ضرب مستر
ميل .. أو أن مستر ميل كان ينوى ضرب ستيرفورت ..
وفجأة دخل مستر كريكل الى الحجرة وصاح :

– ما هذا الذى يحدث .. ؟

فقال ستيرفورت :

– كان يقول انى الولد المفضل لدى الناظر ..
وقال مستر ميل :

– انه يستغل مركزه هذا ويسببى ..

فقال ستيرفورت :

ـ لقد وصفته بأنه شحاذ ٠٠ وهو بالفعل شحاذ ٠٠
وابن شحاذة ٠٠ ان أمه تعيش في ملجأ للفقراء
والعجزة !

ونظر مستر ميل نحوى ٠٠ وأسند يده على كتفى ٠٠
وهنا قال مستر كريكل :

ـ والآن يا مستر ميل ٠٠ اذا سمحت ٠٠ ان عليك
ان تثبت لنا جميعا ان ما قاله ستيرفورت غير صحيح .
فقال مستر ميل بانكسار :

ـ لا ٠٠ انه على صواب ٠٠ لقد قال الحقيقة !

وعندئذ قال مستر كريكل قراره :

ـ اعتقد انك اخطأت الطريق عندما جئت للعمل فى
مدرستنا ٠٠ كان يجب أن تعمل فى مدرسة
للشحاذين ٠٠ أنت مفصول ٠٠ وعليك أن تغادر
المدرسة !

فقال مستر ميل وهو ينصرف :

- ستيرفورث .. اتعنى ان ياتى يوم تقدم فيه
وتحس بالعار مما فعلته معى فى هذا اليوم !

وجمع مستر ميل كتبه وصفارته وخرج ..

وهنا قال ترادلز لستيرفورث :

- انت الذى شتمته .. وتسببت أيضا فى فصله
من العمل !

ومع ذلك فقد كان ستيرفورث محل اعجاب معظم
الأولاد .

وفى ظهر أحد الأيام ، اخبرونى بان زوارا جاءوا
ويريدون مقابلتى وفؤجئت بوجود مسـتر بيـجوتى
وهام ، وقد جاءا لزيارتى . وقال مستر بيـجوتى عندما
رأنى :

- لقد نضجت وأصبحت كبيرا ..

وسالته :

- كيف حال أمي .. وكيف حال أميلي الصغيرة
ومسر جاميدج .. ؟!

- هم جميعا بخير وفي أحسن حال .. لقد
أحضرت لك بعض القواقع والمحار ..

وعندما دخل ستيرفورث الى الحجرة قلت له :

- تعال لأعرفك با صدقائي .. هذان صديقان
من يارماوث ويعملان في القوارب .

فقال ستيرفورث :

- اني سعيد برؤيتكما .

وقلت :

- هل يمكن أن أصحب ستيرفورث معي عند
زيارتكم في يارماوث لكي يرى بيتكم .. انه بيت
مصنوع من قارب كبير ياستيرفورث !

فقال مستر بيجوتي :

- أن بيتى ليس فرجة .. ولكنى أرحب بكمما
بكل سرور فى هذا البيت ..

وهكذا مرت أيام الدراسة .. كل يوم منها كان
يشبه ما سبقه وما يليه من أيام .. وانتهى العام
الدراسى أخيرا ..

ومازلت الى الآن أذكر رحلتى الى يارماوث فى عربة
السفر ..

١٠ - أيام الأجازة

ومن يارماوث ، ركبت حربة السفر الصغيرة التي
يقودها مستر باركيس . **وقلت له :**

- تبدو فى حالة جيدة يا مستر باركيس . . لقد
ارسلت رسالتك .

فقال بهدوء :

- ولكنى لم استلم حتى الآن رداً . - ومازلت
انتظر .

فسأله :

- وهل حدثتها فى ذلك . . ؟

- لا ٠٠ وغليك أن تصادتها انست فى هذا
الموضوع ٠٠ قل لها : بيجوتى ٠٠ باركيس مازال
ينتظر ردك ٠٠ فاذا سألتك ردى على ماذا فقل لها ان
« باركيس مستعد » !

ثم سألتى بعد لحظة :

- قل لى ٠٠ ماهو اسمها الأول ؟

فقلت له :

- كلارا ٠٠ اسمها كلارا بيجوتى

وكتب مستر باركيس هذا الاسم على أحد جانبي
العربة .

وعندما وصلنا الى البيت . توقفت العربة أمام
البوابة الخارجية ، وانزل مستر باركيس صندوق
حاجياتى وتركنى ٠٠ وسرت تجاه الباب ، واتجهت
مسرعاً نحو غرفة المعيشة ٠٠ وهناك رأيت أمى جالسة ،
وتحمل على ذراعيها طفلاً رضيعاً !

ناديت عليها ، فهبت واقفة ، واتجهت نحوى ،
وقبلتنى وهى تقول :

- هذا اخسوك يادافيد .. ياولدى العزيز ..
ياولدى المسكين !

وجاءت بيجوتى بسرعة واحتضنتنى .. وكان
مستر ماردستون وأخته مس ماردستون خارج
البيت .. لذلك فقد جلسنا نحن الثلاثة نتناول عشاءنا
جوار المدفأة . وعندما أخبرت بيجوتى بما قاله مستر
باركيس ، أخذت تضحك .. وهنا تساءلت أمى :

- عما تتحدثان .. ؟

فقالت بيجوتى :

- عن رجل غبى يريد أن يتزوجنى !

وقالت أمى :

- سيكون هذا زواجا مناسبا .

وقالت بيجوتى :

- لا .. لن أتزوجه حتى ولو كان مصنوعا كله من
الذهب الخالص .. قل له يادافيد : انك لم تتكلم معها
مر بل .. وقل له انه اذا حاول أن يكلمنى فسوف
أصفعه على وجهه !

وعندما انتهينا من تناول العشاء ، جلسنا قرب
نار المدفأة . وقالت أُمى متسائلة :

- بيجوتى .. هل حقا تريدان أن تتزوجى .. ؟!

- أنا ؟ .. أنا لن أتزوج اطلاقا ..

- لا تتركينى يابيجوتى .. وابقى جوارى فأنا
بحاجة اليك .. انى أشعر بقرب النهاية ..

- أتركك ؟ .. هل هذا معقول .. سأتبقى معك الى
ان أصبح سيدة عجوزا لا أصلح لشيء ..

وأخذت أحكى لهما مارأيته وسمعتة من حكايات
المدرسة .. ولكن بيجوتى قالت فجأة وكانما تذكرت
شيئا هاما :

– انى اتعجب .. ماهى اخبار عمه دافيد
الكبرى .. مس بيتسى تروتوود .. ؟

فقلت امى :

– اعتقد انها مازالت تعيش فى كوخها قرب
البحر .. ويبدو انها لم تعد راغبة فى مضايقتنا .

– ربما ستغفر الآن لدافيد حكاية انه ولد ولم
يكن بنتا كما كانت تريد .. خصوصا بعد أن أصبح
لدافيد أخا آخر ..

وعندئذ بدأت أمى فى البكاء وقالت لبيجوتسى
بصوت حزين :

– لماذا تفكرين فى ارسال دافيد الى عمته الكبرى
مس تروتوود .. لمجرد أنى ولدت له أخا .. ؟

وبدا شجار عاصف بين أمى وبيجوتسى ، ولكنهما
تصالحتا فى النهاية وغفرت كل منهما للأخرى ..
وقالت أمى أن بيجوتسى هى صديقتها الحقيقية المخلصة .

وسمعنا صوت عجالات احدى العربات وهى تتوقف
عند باب البيت ٠٠ لقد وصل مستر ماردستون وأخته ٠٠
وعندما مد يده ليصافحنى ٠٠ نفس اليد التى عضضتها
... ضربنى ٠٠ رأيت علامة حمراء مكان العضة ٠٠

وعندما كنت أحيى مس ماردستون وأصافحها
بيدى ، سألتنى :

— ما هى مدة الأجازة ؟

فقلت لها :

— مدتها شهر واحد ٠٠

وأحضرت مس ماردستون ورقة وقلم ، وكتبت
أيام هذا الشهر يوما يوما ٠٠ وفى كل صباح كانت
تشطب على كل يوم يمر ٠٠

لم تكن أجازة سعيدة بأى حال ٠٠ وكان من
الواضح تماما أن مستر ماردستون وأخته لا يطيقانى ٠٠
وفى حضورهما كانت أمى تخشى أن تبدر منها أية بادرة

عطف نحوى .. وكانت تخشى أن أقول كلمة أو أفعل شيئاً يسبب المتاعب ..

ولهذا فقد عزلت نفسي فى حجرة نومى .. وكنت أقضى وقتى فى القراءة .. أو فى الجلوس فى المطبخ مع بيجوتى .. وعندما يكون مستر ماردستون وأخته موجودين .. كنت ألزم الصمت تماماً ولا أنبس بكلمة ..

وقال مستر ماردستون انى ذو شخصية انعزالية كئيبة . ثم أضاف :

– عليك ان تغير تلك الشخصية .. انك تتجنب الجلوس معنا فى غرفة المعيشة .. وتقرئ لنا لو كنا مصابين بأمراض خطيرة ..

ولذلك فقد اضطررت أن أجلس صامتاً وحزيناً فى غرفة المعيشة يوماً وراء يوم .. وكنت أتعنى جلوس المساء حتى أتمكن من مغادرة الغرفة والتوجه الى غرفة نومى لأبقى وحيداً .. وبعيداً !

وأخيراً انتهت أيام الأجازة .. وقالت مس
ماردستون وهى تشطب آخر خانة فى ورقتها :

— هاهو اليوم الأخير .. !

ووصلت عربة مستر باركيس الى باب البيت ..
ووضعت فيها صناديقى .. وعندما قبلتنى أمى ، قالت
لها مس ماردستون :

— كلاًرا ! .. كونى حازمة !!

وتحركت العربة ببطء ..

وعندما التفت خلفى .. رأيت أمى مازالت واقفة
عند باب البيت حاملة على ذراعيها طفلها الرضيع ..
وكانت هذه آخر مرة .. أرى فيها أمى على قيد
الحياة .. !

١١ - وفقدت أمي .

وبعد نحو شهرين من عودتي الى سالم هاوس .
دخل مستر شارب الى حجرة الدراسة ، وطلب مني
أن أذهب لمقابلة الناظر مستر كريكل . واعتقدت أن
هدية وصلتني من بيجوتي .

كان مستر كريكل يتناول طعام افطاره . وبجواره
تجلس زوجته وفي يدها خطاب مفتوح . ومالبت مني
مسر كريكل أن أجلس فجلست . وقامت من مقعدها
وجلست بجواري . وقالت :

- هناك شيء أريد أن أخبرك به يا بنسى . ان
أمك مريضة جدا !

بكيت فورا وانهمرت دموعى .. ثم قالت مسر
كريكل :

- كان مرضها خطيرا للغاية ..

وتوقعت كلماتها التالية :

- لقد ماتت !

وبعد ظهر اليوم التالى غادرت سالم هاوس .
وعندما وصلت الى يارماوث لاسستقل عربة مستر
باركيس لاحظت أن مستر باركيس غير موجود .. وأن
شابا بدينا أحمر الوجه قد حل محله ..

واستقبلتنى بيجوتى عند الباب .. ودخلت بن الى
البيت وهى تبكى وتتحدث فى همس كما لو كانت تخشى
أن توقظ سيدتها التى ماتت .

وفى غرفة المعيشة كان مستر ماردستون جالسا
يبكى .. بينما انهمكت أخته فى الكتابة على بعض
الأوراق .

وحضرنا جميعا دفن أمى .. ووقفنا طويلا عند
قبرها ..

وفى مساء ذلك اليوم . جاءت بيجوتى الى حجرة
نومى . وجلست بجوار سريرى . وقالت :

- لم تعد صحتها فى حالة جيدة منذ مدة طويلة .
ولم تكن سعيدة فى حياتها . . . كانت تغنى لطفلها
الرضيع بنعومة وحزن . . . وكانت خائفة بصفة مستمرة ،
بل وكان خوفها يزداد يوما بعد يوم . . . وكانت بعض
الكلمات القاسية التى توجه اليها أحيانا مثل الضربات
الشديدة . . . وفى احدى الليالى استدعتنى وقالت
لى :

- بيجوتى يا عزيزتى . . . انى أعتقد بأنى فى
طريقى الى الموت . . . لقد تعبت تماما من حياتى . . . ولو
كان الموت مثل النوم ، فابقى بجوارى حتى أنام . . .
ضعى يدك تحت رأسى وأديرى وجهى
نحوك . . . أن وجهك يبدو بعيدا بعيدا . . . وأنا أريده
بقربى . . .

وماتت . . . كما لو كانت طفلا صغيرا تسلك النوم
الى عينيه . . .

١٢ - بيجوتى تتزوج

وبعد فترة قصيرة من دفن أمى فى قبرها . .
قامت مس ماردستون باستدعاء بيجوتى ، وأخبرتها
بأنها لم تعد فى حاجة الى خدماتها ، وأن عليها أن
تغادر البيت .

وقررت بيجوتى أن تذهب لتعيش فى بيت أخيها
حتى تلتحق بعمل آخر مناسب . وقالت لى بيجوتى
وهى تشرح الموضوع :

- والآن . . اعتقد ان مس ماردستون وأخته

لايزيدانك معهما فى الوقت الحاضر .. واعتقد
سيسمحان لك أن تذهب، معى ..

وبالفعل ، وافقت مس ماردستون على زهابى مع
بيجوتى ..

وعندما وصلت عربة مستر باركيس .. وضعنا
فيها صناديقنا .. وطوال الطريق كان مستر باركيس
يتصرف بأدب بالغ : ولم يتكلم سوى كلمات قليلة
وعندما وصلنا الى نهاية الرحلة فى يارماوث ، انتحى
بى جانبا وسألنى :

- هل تعلم من هو المستعد ؟ .. « باركيس
مستعد » .. ١١

وبينما كنا نتوجه فى الطريق الى بيت أخيها
سألتنى بيجوتى :

- دافيد ياعزيزى .. ماذا تقول اذا أنا قبلت
الزواج منه ؟

- من مستر باركيس ؟ .. اعتقد أن هذا سيكون
أفضل شيء .. فسوف يكون لديك فى هذه الحالة عربية
وحصان .. وتستطيعين دائما أن تحضرى لزيارتى ..

ومرت الأيام فى بيت مستر بيجوتى .. أيام متماثلة
كغيرها من الأيام التى مضت .. ولكن لم نعد - أنا
واميلى الصغيرة - نتمشى ونمرح على الرمال .. فقد
انشغلت الآن بمذاكرة دروسها بالاضافة الى ماكانت
تؤديه من أعمال البيت ..

ولاشك فى أنها كانت تحببى .. وتضحك لى
وتداعبنى دائما .. لقد نضجت الآن ولم تعد طفلة
صغيرة كما كانت من قبل ..

وكان مستر باركيس يحضر كل مساء حاملا معه
هدية لبيجوتى .. بعض الفواكه .. أو طير فى قفص .
أو قطعة من اللحم .. أو أشياء أخرى غريبة .

وكان يأخذ بيجوتى للنزهة فى بعض الأحيان .
وحينما كانت تعود من تلك النزهات كانت تضحك
وتضحك ..



وفى احدى المرات صـحبنا مستر باركيس - أنا
واميلى وبيجرتى - فى عربته ٠٠ وعندما وصلنا الى
الكنيسة توجه هر وبيجرتى الى الداخل وتركانا وحدنا
بالعربة ٠

وبعد فترة خرجا من الكنيسة ٠ وسألنى مستر
باركيس :

- هل تذكر الاسم الذى كتبته على جانب العربة ٠٠
لقد كان كلارا بيجرتى ٠٠ لقد تغير هذا الاسم الآن
وأصبح : كلارا باركيس !

لقد تزوجا ٠٠ !

الجزء الثالث

الشباب ..

١٣ - وخرجت الى العالم

حان الوقت بعد ذلك لكى أعود الى البيت . .
وأخذنى باركيس فى عربته ، وكانت بيجوتى تتركب
معنا . . وعندما وصلنا ، انزلانى أمام البوابة وتركانى
وحدى . . وأخذتنى الدهشة حين رأيت العربة تمضى
فى طريقها آخذة معها . بيجوتى دون أن تنزل معى . .

وهكذا بدأت أكثر الفترات ظلاما وشقاء فى تاريخ
حياتى . . فقد كان مسـتر ماردستون يكرهنى
ولا يطيقنى . وكذلك كانت أخته . . فلم يتحدثا معى
على الإطلاق . . وعشت كالغريب فى بيتى ، وأصبحت

أفضل أن أعيش فى أية مدرسة مهما كانت صعبة الظروف والأحوال ، فهذا أفضل بكثير من الحياة بمثل هذا الشكل .

وكانت بيجوتى تحضر لزيارتى كل اسبوع ..
وكنت أقضى وقتى كله بين كتب القصص والروايات ..
وكنت اعتبر هذه الكتب خير أصدقائى .

وفى أحد الأيام وصل الى البيت رجل اسم مستر كوينيون . واستدعانى مستر ماردستون الى غرفة الجلوس وقال :

— هذا مستر كوينيون .. الموظف بشركة ماردستون وشركاه بلندن .. سستذهب لتعمل معه فى مكتبه بالشركة .. وستعيش هناك فى غرفة مستأجرة بمنزل أحد الأشخاص .

وهكذا وجدت نفسى فى النهاية جالسا جنبا الى جنب مع مستر كوينيون فى العربة المسافرة الى لندن .. وأنا لم أزل ولدا صغيرا .. يخرج وحيدا الى العالم ..

١٤ - بداية العمل

ركان يعمل فى المكتب ثلاثة أولاد آخرون . . لم
أشجاروب معهم ، وشعرت بقدر كبير من التعاسة . وفى
هذا اليوم الأول للعمل فى هذا المكتب ، ظللنا نعمل حتى
الساعة الثانية عشرة ظهرا . واستدعانى مستر
كرونيون الى حجرة مكتبه . وهناك رأيت رجلا بدينا
يرتدى معطفا بنى اللون . وكان اسمه مستر ميكاوبر .

قال مستر كوينيون :

— هذا هو الغلام . .

هقال مستر ميكاوبر باهتمام ووقار وأدب :

– اذن هذا هو مستر كوبرفيلد ؟ .. أرجو أن تكون
فى خير حال يامستر كوبرفيلد ! ..

شكرته ، وتمنيت له نفس الشئ . فقال بنفس
الطريقة الوقورة المؤدبة ..

– شكرا لله .. أنا فى حالة طيبة .. لقد تلقيت
خطابا من مستر ماردستون يطلب منى فيه أن استضيفك
فى منزلى .. وستسكن فى احدى الغرف التى
لا احتاجها فى الوقت الحالى .

وقال مستر كوينيون :

– لقد استأجرنا لك غرفة فى بيت مستر ميكاوهر .

وقال مستر ميكاوهر :

– عنوانى هو : وندسور هاوس . سيتى رود ،
« وياختصار » فأنا أعيش هناك .

وقد لاحظت منذ البداية أن مستر ميكاوهر كان
يقول العديد من الكلمات باسلوب معقد قليلا ثم يقول
كلمة « باختصار » ويقول نفس الكلمات بطريقة سهلة



مختصرة . . كانت هذه هى طريقته المعتادة فى الحديث . وبهذه الطريقة قال لى مستر ميكاويز :

- اعتقد أنك لم تتعرف حتى الآن على شوارع هذه المدينة الكبرى . . من المتوقع أنك ستجد صعوبة وعناء حتى تكتشف الطريق . أعيش فيه . . وبالاختصار . . سوف تفقد طريقك . رتتوه ولهذا فسوف أحضر فى المساء لاصحبك معى لأريك الطريق الى هذا البيت .

وارتدى مستر ميكاويز قبعته وغادر المكتب .

وعند حلول المساء ، عاد مرة أخرى ليأخذنى معه الى بيته . وهناك رأيت زوجته مسز ميكاويز وأبناءه الأربعة . وقالت لى مسز ميكاويز :

- لم أكن أظن مطلقاً حين كنت أعيش فى بيت أمى وأبى . . أن يوماً ما سيأتى وأضطر فيه لتأجير احدى الغرف فى بيتى ليعيش فيها أحد الغرباء . ولكن مستر ميكاويز يعانى من بعض الصعوبات المالية . . ولا يترك له دائئوه فرصة من الوقت حتى يتمكن من رد ديونهم . .

كانت مسز ميكاوبر مسكينة حقا . . وكانت تبذل كل مافى وسعها لمعاونة زوجها فى تلك الأزمة . فقد علقت على باب بيتها لافتة كتبت عليها :

« مدرسة مسز ميكاوبر لتعليم الفتيات » . . ومع ذلك فلم تحضر الى البيت فتاة واحدة . . والذين كانوا يحضرون الى البيت هم بعض الدائنين الذين كانوا يصرخون فى وجه مستر ميكاوبر ويطالبونه برده ديونهم . .

وكان هناك مجموعة اخرى من الدائنين يصرخون ويهددون مستر ميكاوبر حين كان يسير فى الشارع . . ومجموعة ثالثة يطلقون تهديداتهم وصراخهم وهم يقفون تحت نوافذ البيت .

وحينئذ كان مستر ميكاوبر يشعر بمنتهى التعاسة ويقول أنه يجب أن يقتل نفسه وينتحر ليتخلص من كل ذلك . . ولكن بعد مرور أقل من نصف ساعة ، كان - وباللغرابة ! - يشرع فى تنظيف حذائه ، ويخرج من البيت وهو يغنى أغنية مرحة ويشعر بسعادة غامرة .

وكانت مسز ميكاوبر على شاكلته . ففى الساعة السادسة مثلا ، أراها راقدة على الأرض وهى تبكى . . ولكن قبل مرور أقل من ساعة ، كنت أراها فى قمة البهجة والسرور . . وتحكى لى الكثير من القصص عن أمها وأبيها . . وعن البيت الذى كانت تعيش فيه قبل أن تتزوج .

وفى احدى الأمسيات عاد مستر ميكاوبر الى البيت حزينا . وأخذ يبكى عندما بدأ فى تناول عشاءه . وقال أن الأمور قد تأزمت ولم يعد باقيا سوى أن يرسله دائنوه الى السجن بسبب عجزه عن سداد ديونهم . .

ولكن عندما انتهى مستر ميكاوبر من تناول عشاءه ، أخذ يغنى أغنية مرحة . . وقبل أن يتوجه الى سريره للنوم ، أخذ يحسب تكاليف عمل نوافذ كبيرة للبيت بدلا من تلك النوافذ الضيقة . . وذلك عندما تتحسن الأحوال . . !

ولكن الأحوال لم تتحسن ، بل وأخذ الزوجان يبيعان بعض الأشياء من بيتهما للحصول على الطعام .

ولكنهما كانا لا يجسران على الخروج من البيت ومعهما
أى شىء يريدان بيعه ، فقد كان الدائنون يقربصون بهما
ويراقبونهما لمنعهما من بيع أى شىء من حاجيات
البيت .

ولذلك فقد كنت أتولى هذا الموضوع نيابة عنهما .
كنت أخرج من البيت ومعى بعض الكتب أو بعض قطع
الفضيات . . أخبئها فى جيوبى أو تحت معطفى ،
وأذهب لبيعها وأعود سريعا لأعطيها الثمن . .

وأخيرا جاءت النهاية . . وطلب الدائنون ادخال
مستر ميكاوبر الى السجن(١) . وفى تلك الليلة زرته
بالسجن وتناولت معه طعام العشاء . ثم عدت الى
مسز ميكاوبر لأواسيها .

وفوجئت بأن الدائنين قد أخذوا كل أثاث البيت ،

(١) كان هناك قانون فى انجلترا يقضى بسجن المدنيين الذين
يعجزون عن سداد ديونهم . وفى مثل هذه الحالة كان يجوز للسجين
ان يصحب معه أسرته الى السجن حتى تجد طعامها .

ولم يتركوا سوى منضدة وبضع مقاعد قليلة . وقد
عشنا بعض الأيام وسط هذه البقايا البائسة ، الى أن
اضطرت مسز ميكاوهر الى أن تذهب -ومعها ابناؤها -
لتعيش مع زوجها فى سجنه . واضطرت أنا بالتالى
الى مغادرة البيت ، وعشت فى حجرة أخرى فى مكان
قريب من السجن . وقد اعتدت على زيارة مستر ميكاوهر
وأسرته فى السجن كل مساء .

وبعد فترة أطلق سراحهم ، فخرجوا من السجن
وجاءوا ليعشوا معى حيث كنت أعيش . ثم قرروا
الرحيل الى مدينة بلايموث . وفى مساء يوم الأحد
السابق لهذا الرحيل ، تناولنا جميعا طعام العشاء
معا . وألقى مستر ميكاوهر خطبة قال فيها :

- يا صديقى الصغير . . يا صديقى العزيز . . أنا
أكبر منك سنًا . . وأكثر منك خبرة فى الحياة . . والى
أن تنصلح الأحوال . . وهذا ما أتوقعه . . فليس لدى
ما أمنحك أياها سوى نصيحة واحدة . . ونصيحتى هى :
إذا كان دخلك السنوى عشرين جنيها ، وانفاقك السنوى

عشرين جنيها الا ستة بنسات ٠٠ فسوف تعيش سعيدا
مسرورا ٠٠ أما اذا تجاوزُ انفاقك السنوى العشرين
جنيها ولو بستة بنسات ٠٠ فسوف يحل الشقاء
والخراب ٠٠ ستتذبل الزهور ٠٠ وتجف أوراق
الشجر ٠٠ وتغيب الشمس فى الصحراء ٠٠
باختصار ٠٠ ستصبح مفلسا ٠٠ مثلى تماما ٠٠ !!

وحتى يؤكد مستر ميكاوبر نصيحته تلك ، أخذ
يفنى ويرقص ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، رحلوا وتركونى وحدى
ولم يعد أمامى سوى أن أقرر الذهاب الى عمى الكبرى
مس بيتسى تروتوود ٠٠ قريبتى الوحيدة التى أعرفها

وهكذا جمعت حاجياتى القليلة ووضعتها فى
صندوق ٠ وخرجت الى الطريق ٠ وعند احدى النواصى ،
رأيت شابا يقف بجوار عربة ، فقلت له :

— هل يمكنك أن تحمل هذا الصندوق حتى تضعه
فى العربة المسافرة الى دوفر ٠٠ كم تريد مقابلا
لذلك ٠٠ ؟!

فقال الشاب :

— ستة بنسات ..

وبالرغم من عدم ارتياحي لمنظر ذلك الشاب ، فقد وافقت ، ووضعت الصندوق على العربة الصغيرة ، التي كان يقف بجوارها . واخرجت حافظة نقودي لأعطيته أجره الذي اتفقنا عليه .. وفجأة انقض الشاب على حافظة النقود وخطفها من يدي ، وانطلق هاربا بأقصى سرعة .

وفي اللحظة التالية ، أصبحت مفلسا وبلا نقود .. ولم أعد أمتلك شيئا في هذا العالم .. وهكذا بدأت طريقى الى دوفر .. سيرا على الأقدام !

وعندما وصلت الى بلاك هيث ، قضيت الليل نائما في أحد الحقول بالقرب من مدرستي القديمة سسالم هاوس . وفي صباح اليوم التالي عاودت السير حتى وصلت الى روشستر ، ومنها توجهت الى شاتهام .. وهناك قررت أن أبيع معطفي لأحصل بثمنه على طعام يسد جوعي ..

ودخلت الى مكان صغير ، يجلس فيه رجل عجوز له شكل قبيح . وبمجرد أن رأيته ، قال على الفور :

[illegible]

قلت له مندهشا :

- أريد أن أعرف . . هل يمكن أن تشتري معطفا . .
أعطيك فقط شللا واحدا وستة بنسات !

فقال العجوز على الفور :

- أوه .. أه ياقلبي .. أه يابطنى ! .. لا ..
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بذسات !

وافقت .. ولكنه لم يعطنى النقود على الفور ..
وانتظر فترة طويلة .. ثم بدأ يعطينى النقود فى عملات
صغيرة أخذ يعدها ببطء .. كل نصف بنس وراء
الآخر ..

ثم واصلت بعد ذلك السير حتى وصلت الى
دوفر .. والى الكوخ الذى تعيش فيه عمتى الكبرى ..
ورأيتها وهى تقف فى الحديقة الملحقة بالكوخ ..
وصرخت بمجرد أن شاهدتنى اقتراب :

– ابتعد عن هنا .. لا أريد أولادا فى هذا
المكان !!

فقلت لها متوسلا :

– لو سمحت يامس بيتسى .. أنا دافيد كوبرفيلد .
لقد ماتت أمتى وأصبحت بائسا .. !

ثم انفجرت فى البكاء ولم استطع أن أواصل
الكلام . وعندئذ طلبت عمتى من الخادمة أن تستدعى
مستر ديك ..

ووصل مستر ديك بسرعة .. وكان يبدو شبيه
مجنون على نحو ما .. وقالت له عمتى :

– مستر ديك .. هذا هو دافيد كوبرفيلد !

فقال مستر ديك :

— اود ٠٠ نعم نعم ٠٠٠

وقالت عمتى :

— الآن ٠٠ لا تتظاهرا بالجنون بينما أنت فى الحقيقة رجل ذكى ٠٠ هذا هو دافيد كوبرفيلد ٠٠ أخبرنى ٠٠ ماذا أفعل معه ؟ !

فقال مستر ديك وهو ينظر نحوى :

— دعيه يستحم !

وأعطونى حماما ٠٠ ثم تناولنا العشاء معا ٠٠ وحكى لعمتى كل ماحدث ٠٠ وكانت عمتى مستغرقة فى الانصات ٠٠ ثم قالت :

— انى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتزوج الناس ٠٠ ان أمك قد تزوجت ٠٠ ثم تزوجت مرة أخرى ٠٠ وتلك المرأة بيجوتى ٠٠ تزوجت هى الأخرى !

والتفتت عمتي الى مستر ديك وقالت له :

– والآن يامستر ديك .. أخبرني ماذا أفعل معه

ايضا ..

فقال مستر ديك :

– علينا أن نضعه في السرير لينام .. !

١٥ - قرار عمى

كانت عمى جالسة الى عائدة الافطار حين قالت
لى :

- لقد كتبت الى مستر ماردستون .. والآن بعد
ان تناولت افطارك ، عليك بالصعود الى السطح حيث
مستر ديك .

فقلت :

- حاضر !

وقالت :

- انه قريبى ..

وقلت :

– هل هو مجنون قليلا ؟

قالت :

– كان أخوه ينوى ايداعه فى دار للمجانين ..
ولكنى انقذته من هذا المصير ، وسمحت له بأن يعيش
فى بيتى .. انه رجل عطوف جدا .. وكثيرا مايقول
نصائح طيبة بالرغم من أنه مجنون قليلا .. فهو يتحدث
كثيرا عن رأس الملك تشارلس المقطوعة (١) .. وهو
يكتب شكاوى كثيرة يقول أنه ينوى أن يرسلها الى
القاضى ليشرح له فيها أحواله وشئونهِ وأعماله ..
ولكن رأس الملك تشارلس تظهر دائما لتتدخل فى هذه
الشكاوى .. ولذلك يبدأ فى كتابة شكاوى أخرى
غيرها .. !

وصعدت الى السطح .. الى مستر ديك الذى

(١) كان اتباع كرومويل قد قطعوا رأس الملك تشارلس الاول

فى سنة ١٦٤٩ م .

أراني « طيارة ورقية » ذات خيط طويل ومغطاة كلها
بشكاوى مكتوبة تتحدث عن رأس الملك تشارلس
المقطوعة • وقال مستر ديك :

– بهذه الطيارة أرسل أفكارى الى العالم ••
وكلما صعدت الطيارة الى عنان السماء •• كلما صعدت
أفكارى الى أعلى وأعلى ! ••

وبعد عدة أيام وصل مستر ماردستون وأخته مس
ماردستون الى بيت عمى •• وجلسا •• وقالت عمى :
– انت اذن مستر ماردستون الذى تزوج مسز
كوبرفيلد •• ؟

فقال مستر ماردستون :

– نعم •• هو انا •

وقالت عمى وهى تشير الى :

– وهذا هو ابنها •• ؟

فقال مستر ماردستون مؤكدا :

– نعم ٠٠ ولقد فر هاربا من اصدقائه بعد أن ترك عمله ٠٠ لقد سبب لنا الكثير من المتاعب !

وعقبت مس ماريستون على كلامه قائلة :

– انه دون جميع الأولاد ٠٠ اسوأ ولد فى العالم !

ثم واصل مستر ماردستون كلامه :

– لقد جدت لأعيده معى اذا كان هو مستعدا للعودة ٠٠ أما اذا كان غير راغب فى ذلك فسوف أغلق فى وجهه أبوابى ٠٠ وأظن انك فى هذه الحالة ستفتحمن له أبوابك !

والتفتت عمتى الى وسألتنى :

– هاه ٠٠ ما رأيك ؟ ٠٠ هل تريد العودة معه ؟

فأجبت على الفور :

– لا ٠٠ لا ٠٠ انهما يكرهانى ٠٠ ولم يعطفا على

أبدا ٠٠ لقد جعلأ أمسى تعيش حياة تعيسة ٠٠

أرجوك ٠٠ أرجوك يا عمتى ٠٠ لاترسلينى معهما ٠٠ !

فالتفتت عمتى الى مستر ديك وسألته :

- والآن يامستر ديك .. ماذا افعل معه .. ؟!

وأخذ مستر ديك يفكر طويلا . ثم قال :

- يجب أن اشترى له بعض الملابس !

وهنا التفتت عمتى الى مستر ماردستون وقالت له :

- سأحتفظ بالولد .. وأنا لا أصدق كلمة واحدة

مما قلته عنه .. أنا أعرف ما حدث تماما .. قبل أن

تتزوج أمه قلت لها انك ستصبح أبا ثانيا لابنها ..

ولكن بعد أن تزوجتها أجبرتها على أن تغير مشاعرها

نحو ابنها .. لقد كانت امرأة عطوفة طيبة ، ولكنك

كنت تقسو عليها وتقسو على ابنها .. أنت تراه لأن

مجرد رؤيته كانت تذكرك بمدى قسوتك .

وعندئذ وقف مستر ماردستون بجوار الباب ،

وكان يبدو شاحب الوجه . وقالت عمتى :

- وداعا لك .. وداعا يامس ماردستون !

وبعد أن رحل مستر ماردستون وأخته .. قبلت
عمتي .. وصافحت مستر ديك .. وقالت عمتي :

- من الآن سادعوك : دافيد تروتوود كوبرفيلد !
وهكذا بدأت حياة جديدة .. باسم جديد ..

وهكذا ذهبت جميع الحوادث التي جرت لى فيما
مضى بعيدا بعيدا .. وأصبحت مجرد ذكريات ..

١٦ - وبدأت بداية جديدة

سرعان ما أصبحت أنا ومستر ديك اصداقاً مخلصين . وكثيراً ما كنّا نخرج معاً لتطير « طيارته الورقية » الكبرى . . . وكان يقضى ساعات طويلة كل يوم يعمل بهمة فى كتابة الخطاب الذى ينوى ارساله الى القاضى . . . ولكنه كان لاينتهى من هذا الخطاب اطلاقاً . . . لأن سيرة الملك تشارلس الأول كانت تفرض نفسها على موضوع الخطاب مهما حاول هو ان يتلافى ذكر هذه السيرة . . . وعندئذ كان يتوقف عن الكتابة ، ويشرع على الفور فى كتابة خطاب جديد . . . وكانت « الطيارة » مصنوعة بأكملها من أوراق

الخطابات التي توقف عن اكمالها والقاهها جانبا .
وعندما كان يشرع فى تطيير « الطيارة » كان يبدو فى
قمة الاحساس بالسلام والسعادة . وعندما كانت
الطيارة تبتعد عاليا فى عنان السماء ، كانت تبدو كما
لو كانت قد أبعدت شعرة الجنون عن عقله . . . أما حين
كانت تهبط الى الأرض وتستقر عليها ، فقد كانت تبدو
فى نظره كشيء ميت لاحول له ولا قوة ، وعندئذ كان
يشعر كما لو أنه قد أفاق من حلم . . . وأنه هو والطيارة
قد هبطا الى الأرض معا . . . وعندئذ كنت أشفق عليه
وأشعر بالحزن والأسف من أجله . . .

وأصبحت عمتى شديدة العطف على ، واختصرت
اسمى الى « تروت » بدلا من « تروتروود » . . . وفى احدى
الامسيات قالت لى عمتى :

- تروت . . . يجب ألا ننسى موضوع دراستك . . .
فهل تحب أن تذهب الى مدرسة فى كانتربرى . . . ؟
- نعم . . . أحب ذلك كثيرا . . .
- عظيم . . . هل تحب أن تلتحق بالمدرسة غدا . . . ؟

وهكذا سافرنا فى صباح الغد الى كانتربرى ..
وعندما وصلنا الى هناك قالت عمى :

- علينا أن نذهب أولا الى بيت مستر ويكفيلد ..
انه محام !

وتوقفنا أمام بيت قديم جدا ، تبرز نوافذه مطلة
على الشارع . وتؤدى الى بابه درجتان حجريتان
شديدتا البياض .. أما النوافذ فقد كانت مصنوعة
من مربعات زجاجية صغيرة غريبة الشكل ..

وعندما توقفت العربدة أمام باب البيت .. رأيت
وجها أبيض يطل من احدى النوافذ .. ثم فتح لنا الباب
رجل اسمه يورياه هيب له وجه أبيض ، وعينان لهما
لون هو مزيج من الأحمر والبني ، وكتفان مرتفعان ،
وذراعان طويلتان نحيفتان .. وقد لاحظت ذلك عندما
وقف هذا الرجل بجوار الحصان الذى يجر العربدة ،
وبدا يربت على خده .. وسالته عمى :

- يورياه هيب .. هل مستر ويكفيلد موجود
بالبيت .. ؟

- نعم .. مستر ويكفيلد موجود بالببيت .

وأشار الينا بذراعه الطويلة الى مكان حجرة الاستقبال .. وفوق رف المدفأة التى تصدر الحجرة ، رأيت صورة لجنتلمان رمادى الشعر ، تقف الى جانبه سيدة جميلة ذات ملامح طيبة وديعة .

وبعد لحظات دخل الينا مستر ويكفيلد .. انه نفس الجنتلمان الذى يظهر فى الصورة ، وان كان يبدو الآن اكبر عمرا ببضع سنوات .

وقال لعمتى :

- أهلا بك يامس تروتوود .. ماسبب حضورك الى هنا .. ؟

فقالت عمتى :

- هذا هو دافيد تروتوود كوبرفيلد .. وأنا عمته الكبرى .. انى أبحث له عن مدرسة يتعلم فيها جيدا ويعامل فيها معاملة حسنة .. اخبرنى أين أجد هنا مثل هذه المدرسة .. ؟ !



وقال مستر ويكفيلد :

- توجد هنا مدرسة جيدة .. ولكن دافيد لن يمكنه
أن يعيش فيها فى الوقت الحاضر .. ومع ذلك فساخبرك
بما يجب عليك أن تعمل به .. أتركه هنا .. انه ولد
هادىء .. وببىتى بيت هادىء .. أتركه معى فى هذا
البيت ا

فشكرته عمتى شكرا جزيلا .. وواصل مستر
ويكفيلد حديثه :

- تعالى معى لأريك المشرفة الصغيرة التى تتولى
شئون هذا البيت ..

وصعد بنا الى الطابق العلوى .. ودخلنا الى
حجرة منظمة ذات رونق جميل ، رأينا فيها فتاة جميلة
فى مثل عمى ، سرعان ما هبت واقفة واتجهت الى مستر
ويكفيلد وأخذت تقبله .. كانت الفتاة تشبه تماما المرأة
الجميلة المرسومة فى الصورة .. نفس الجمال الهادىء
الوديع الذى لم أنسه أبدا .. بل ولن أنساه أبدا ..

وقال مستر ويكفيلد :

– هذه هى ابنتى أجنس ..

ثم التفت الى ابنته وقال :

– أجنس .. دافيد كوبرفيلد ضيفنا وسيسبقى

معنا .. من فضلك أريه حجرتة ..

وبعد أن ذهبنا جميعا لنرى الحجرة ، قررت عمتى

أن تعود بسرعة الى دوفر لتصلها قبل أن يحل الظلام ..

ولكن قبل رحيلها انفردت بى وقالت تنصحنى :

– تروت .. حافظ على نفسك وكن محترما ..

وعليك أن تلتزم بكل مايشرفنى ويشرف مستر ديك ..

والله معك ويتولاك .. كن أميناً فى كل شىء .. وإياك

أن تصبح كاذبا أو مخادعا .. ولا تكن قاسيا .. والآن

على أن أرحل فوراً ..

وقبلتنى بسرعة ، وخرجت من الحجرة بعد أن

أغلقت على بابها .. ولذلك فقد اعتقدت أن عمتى غاضبة

منى . ولكنى عندما نظرت خلال النافذة التى تطل على

الشارع .. رأيت كم هى حزينة وهى تدخل الى

العربة ٠٠ لقد تظاهرت بالغضب لتخفى مشاعرها
الحقيقية ٠

وفى المساء تناولت العشاء مع مستر ويكفيلد وابنته
أجنس ٠٠ وبعد أن انتهينا من العشاء ، غنت أجنس
اغنية لطيفة ٠٠ ثم قبلت أباهما قبلة المساء وذهبت الى
حجرتها لتنام ٠٠

أما أنا فقد خرجت لأتجول قليلا فى الأماكن
القريبة ٠٠ ورأيت عددا كبيرا من البيوت القديمة
والكنائس ٠ وعندما عدت الى البيت ، رأيت يورياه
هيب وهو يفلق أبواب المكتب ٠

ولما كنت أشعر بالصداقة والود نحو الجميع ، فقد
جلست قليلا مع يورياه وتحادثنا لبضع دقائق ٠
ومددت يدي لأصافحه قبل أن أعود الى حجرتي ٠٠
وكم كانت يده باردة ٠٠ لقد أخذت أمسح يدي بعد ذلك
كما لو كنت أريد أن أمحو آثار يده ٠

وعندما رقدت على السرير ٠٠ كنت لم أزل أحس
بعقلي ٠٠ ملمس يده الباردة المبتلة ٠٠

١٧ - آجنس

فى صباح اليوم التالى ، ذهبت مع مستر ويكفيلد الى المدرسة . كانت بناء ذا مظهر وقور ، يقع وسط ساحة واسعة . وقدمنى مستر ويكفيلد الى الدكتور سترونج ناظر المدرسة . وكان رجلا غير مهندم ويعلو التراب ثيابه ، وله شعر رأس أطول من المعتاد .

نظر الدكتور سترونج الى بعينين باردتين . وقال انه مسرور لرؤيتى . ومد يده ليصافحنى . وكانت تجلس بجانبه شابة صغيرة شديدة الجمال ، ظننت فى

البداية أنها ابنته ، وعلمت فيما بعد أنها مسـز
سترونج ٠٠ زوجته !

وصحبنى الناظر ليرشدنى الى حجرة الدراسة ،
حيث رأيت نحو أربعة وعشرين تلميذا ، كلهم كانوا
مشغولين بمطالعة كتبهم ٠ ووقفوا جميعا عندما دخل
الناظر ، وأشار الى قائلاً :

— هذا زميل جديد أيها السادة الصغار ٠٠ اسمه
تروتود كوبرفيلد ٠٠

وخرج من بين المقاعد صـبى اسمه آدمز ٠٠ رحب
بى ٠٠ وأرشدنى الى مقعدى ٠

وشعرت بالغربة بين هؤلاء الأولاد ٠٠ فجميعهم
لا يعرفون شيئاً عن تجاربى السابقة ٠٠ كما انى لاأعرف
شيئاً عن كيفية ألعابهم وطرقهم فى التعامل ٠٠ وأخذت
أتخيل ماذا يظن هؤلاء الأولاد بى ، اذا علموا أنسى
كنت أعيش مع أشخاص مثل ميكابر وأسرته ٠٠ أو
اذا كانوا قد شاهدونى حينما سرت على قدمى من لندن
الى دوفر جائئاً رث الثياب ٠٠ ؟!

لم اشعر بالارتياح بين هؤلاء الأولاد .. بل ربما شعرت بالخوف منهم .. لذلك فقد سارعت فى الانصراف عقب انتهاء اليوم الدراسى . وبمجرد وصولى الى بيت مستر ويكفيلد تبذدت مخاوفى وتعباستى . وجلست فى حجرتى المنظمة الجميلة اقرا فى كتبى حتى حل موعد العشاء ، فنزلت الى الطابق السفلى ورأيت أجنس جالسة فى غرفة المعيشة . وبعد لحظات وصل والدها مستر ويكفيلد . وقال :

– ستكون سعيدا فى مدرسة الدكتور سترونج !

وبعد الانتهاء من تناول العشاء أحضرت أجنس مجموعة من زجاجات الشراب ووضعتها على المائدة أمام مستر ويكفيلد الذى بدأ على الفور يحتسى الشراب كأسا وراء آخر .

وشرب مستر ويكفيلد كمية كبيرة .. وغنت أجنس بعض الأغانى القصيرة .. ثم جلست بجوار أبيها وأخذت تحادثه ..

أما أنا فقد أحضرت كتيبى وبدأت فى مذاكرة
دروسى .. وتفحصت أجنس بعض هذه الكتب ثم
جلست بجوارى لتساعدنى فى المذاكرة .

والآن .. بينما اكتب هذه الكلمات من قصة
حياتى .. مازلت أذكر تماما كيف أحسست بوداعتها
وطبعها الهادىء .. وكيف احسست بصوتها الوديع
العذب وهى تتكلم .. ومازلت الى الآن أشعر بأفضالها
على فى تلك الفترة وفيما بعد أيضا ..

لقد أحببت من قبل اميلى الصغيرة .. ولكنى
أصبحت أشعر بالفضل .. والوداعة .. والسلام ..
والصدق .. أينما تكون أجنس ..

١٨ - يورياه هيب . . المتواضع

وبعد ذلك ذهب مستر ويكفيلد الى المكتب ليواصل عمله . . وفى المكتب رأيت ضوءا خافتا . ورأيت يورياه جالسا ويقرأ فى كتاب ضخيم ، ويتتبع كل سطر يقرأه باصبعه . فقلت له :

- انك تعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة يا يورياه !

- هذا صحيح يا مستر كوبرفيلد . . ولكنى لا أشتغل الآن بأعمال المكتب . . انى أدرس القانون .

- تدرس القانون ؟ . . كنت أظن أنك محام كبير !

- لا يامستر كوبرفيلد .. أنا شخص متواضع
جدا .. وأمي أيضا متواضعة جدا .. وأعيش معها
فى بيت متواضع .. وكان أبى أيضا رجلا متواضعا ..
ويعمل فى مهنة متواضعة .. لقد كان خادما فى
كنيسة ، ويقوم أيضا بحفر القبور فى ساحتها .

فسأله :

- وأين هو الآن ؟

- فى السماء .. ولكن لدينا أشياء كثيرة نحمد
الله عليها .. فأنا أحمد الله لأنى أعمل مع مستر
ويكفيلد .. وأتمنى أن أصبح محاميا .

- وعندئذ ستشارك مستر ويكفيلد فى مكتبه ..
وسيصبح اسم المكتب « ويكفيلد وهيب » ..

- لا يامستر كوبرفيلد .. انى متواضع جدا
ولا أجسر على فعل ذلك .. ان عمك سيدة لطيفة ..
وكان يورياه هيب معتادا على تحريك جسمه عندما



كان يتحدث بكلام طيب عن أى شخص .. وفعل ذلك
عندما كان يحدثنى عن عمتى :

- انها سيدة لطيفة .. وهى معجبة كثيرا بمس
آجنس .. أليس كذلك ؟!

فاجبت دون أن ادرى بما أقول :

- نعم .. نعم .

وسألنى يورياه :

- وأنت أيضا معجب بها .. أنا متأكد من أنك
معجب بها .. !

فقلت :

- ان أى شخص لابد أن يعجب بها !

- أوه .. شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذه
الكلمات .. شكرا لك .. انها كلمات صادقة !

وقام متأهبا للانصراف . وهو يقول :

– ان أمى تتوقع الآن عودتى .. لو أنك فكرت فى زيارتنا فى بيتنا المتواضع .. فسوف يسعدها ذلك كثيرا .

فقلت له أن ذلك سيسعدنى أيضا . وقال قبل أن ينصرف :

– ربما ستبقى هنا فى هذا البيت يامستر كوبرفيلد لمدة طويلة .. وربما ستتولى العمل بدلا من ماستر ويكفيلد فى النهاية ؟ !

– لا .. أنا لا أفكر فى مثل ذلك اطلاقا ..

– أوه .. أنا متأكد من أن ذلك سيحدث .

ووضع يده فى يدى ليصافحنى .. فأحسست بلمس يده وكأنها سمكة .. وحلمت بذلك فى تلك الليلة ..

١٩ - مدرسة الدكتور سترونج

كانت مدرسة الدكتور سترونج رائعة وعظيمة .
وتختلف تماما عن مدرسة مستر كريكل . وكانت الثقة
متبادلة بين التلاميذ والمدرسين . . وكنا نشعر جميعا
باننا مسئولون عن نجاح المدرسة فى اداء رسالتها .
ولذلك فقد كنا نحب المدرسة ونعمل كل مايشرفها
ويشرفنا .

وكان بعض التلاميذ يعيشون فى بيت الدكتور
سترونج . . وهم الذين اخبرونى بان الدكتور قد تزوج

منذ نحو عام مضى من هذه الشابة الصغيرة الجميلة
التي رأيتهَا معه .

وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب . . ولكنه
كان بطيئًا للغاية ، لدرجة الاحساس بأنه لن ينتهى
من تأليف كتابه هذا قبل مرور ألف سنة ! . . ولكنه
كان رجلا طيبا كثير العطف على الفقراء . ويحكى
الأولاد قصة طريفة عن كرمه . . فقد أعطى معطفه لامرأة
فقيرة . . ولكن المرأة باعت المعطف لتشتري بثمنه خمرا
تشربه . . وبعد مدة ، شاهد الدكتور المعطف معروضا
فى أحد المحلات ، فاشتراه دون أن يدرك أنه نفس معطفه
الذى وهبه للمرأة .

واستلمت خطابا من بيجوتى كتبت فيه بعض
أخبارها . . قالت أن مستر ماردستون وأخته مس
ماردستون قد رحلا بعد أن أغلقا البيت . . وأن زوجها
باركيس فى حالة طيبة ولكنه شديد الحرص على
نقوده . . وأن مستر بيجوتى أيضا فى حالة طيبة ،

وكذلك هام واميلى الصغيرة ٠٠ أما مسز جاميدج فقد
كانت مريضة ٠

وكانت عمى تفاجئنى بالزيارة فى اوقات غير
متوقعة لترى كيف تسير احوالى ٠٠ ولكنها اطمانت
تماما بعد ان تأكدت من حرصى على التعلم واداء
واجباتى ٠ وكنت اذهب الى دوفر لزيارتها مرة كل
ثلاثة أو أربعة اسابيع ٠٠ أما مستر ديك فقد كان يحضر
لزيارتى بصفة منتظمة كل يوم اربعاء ٠٠ وكان يحمل
معه دائما حقيبة أوراقه وآخر ماكتبه من خطابه العظيم
الذى ينوى ان يرسله للقاضى ٠٠ !

وأصبحت أيام الأربعاء هذه أسعد أيام مستر
ديك ٠٠ اذ سرعان ما أصبح معروفا ومحبويا من جميع
تلاميذ المدرسة ٠٠ كان لا يشاركهم فى اللعب ، ويكتفى
بمشاهدة ألعاب التلاميذ وينفعل بها ٠٠ وكان
يجد متعة عظيمة وهو يتفرج على الأولاد وهم يمرحون
ويلعبون على الثلوج المتساقطة ٠

وكان مستر ديك يجيد صناعة لعب مثل القوارب
والعربات الصغيرة . . يصنعها من مواد غريبة ويعلم
الأولاد كيف يصنعونها . ولذلك فقد أحبه جميع الأولاد
وأصبحوا ينتظرون موعد مجيئه للزيارة القادمة .

وكان يحترم الدكتور سترونج ، ويقف أمامه بأدب
بالغ بعد أن يخلع قبعته . . وسرعان ما أصبح هو
والدكتور صديقين حميمين . بل وبدأ الدكتور يتلو عليه
بعض صفحات من الكتاب الذى يقوم بتأليفه . . وعندئذ
كان مستر ديك ينصت بامعان ويشرق وجهه بالسرور . .
بالرغم من يقينى بأنه لايفهم كلمة واحدة مما يقوله
الدكتور . .

٢٠ - تناولت الشاي مع يورياه هيب

وفى عصر أحد أيام الخميس ، قابلت يورياه هيب
فى الشارع . فقال لى :

- لقد وعدتنى بأنك ستحضر لتناول الشاي معنا
أنا وأمى . . ولكنى أتوقع أنك لن تقبل هذه الدعوة . .
فنحن ناس متواضعون جدا . .

وحتى تلك اللحظة ، لم أكن قد أدركت بعد هل أنا
أحب يورياه هيب أم أكرمه . ولكنى أخبرته بأنى على
استعداد لقبول دعوته . فقال :

- ان أمى ستكون فخورة بذلك .

وسالته :

- هل مازلت تواصل دراسة القانون ؟

فاجاب :

- ان قراءتى لكتب القانون لا ترقى الى مستوى لدراسة ٠٠ ففى بعض الامسيات اقضى ساعة و ساعتين فى قراءة كتب القانون ٠٠ ولكنى اصادف بعض الصعوبات ٠٠ فهناك بعض الكلمات والمصطلحات مكتوبة باللغة اللاتينية ولا استطيع ان افهمها ٠٠

- هل تحب ان اساعدك فى تعلم اللاتينية ؟

- اوه ٠٠ شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذا العرض الطيب ٠٠ ولكنى متواضع وذليل ولا استحقه هانحن قد وصلنا الآن الى بيتنا المتواضع !

ودخلنا الى غرفة منخفضة السقف . وقالت مسر هيب (ام يورياه) وكانت تشبهه الى حد كبير وان كانت اقصر منه طولا . وقد استقبلتنى بتواضع شديد وهى تقول :

– ان هذا يوم لا ينسى يا عزيزى يورياه ٠٠ أن حضور مستر كوبرفيلد لزيارتنا يعتبر شرفا كبيرا لنا ٠

ثم التفتت الى وقالت :

– كان عزيزى يورياه يخشى أن يمنعك تواضعنا وفقرنا من تلك الزيارة التى وعدته بها ٠٠ فنحن متواضعون جدا وفقراء ٠٠ وسنبقى هكذا دائما ٠٠

فقلت مندهشا :

– ولكنى على يقين من أنه ليست هناك حاجة لأن نكون متواضعين بهذا الشكل ٠٠

فقالت مسر هيب :

– شكرا لك يا سيدى !

وجلست مسر هيب بالقرب منى ٠٠ وجلس يورياه أمامى ٠٠ وأخذا يعطيانى أفضل قطع الطعام الموجودة على المائدة ٠

تحدثا عن خالاتهما وعماتهما ، فتحدثت عن

عمتى ٠٠ ثم تحدثا عن الآباء والأمهات ، فتحدثت عن
أبى وأمى ٠٠ ولكنى توقفت فجأة بعد أن تذكرت أن
عمتى نصحتنى ألا أتحدث فى هذا الموضوع مع أحد ٠٠
ومع ذلك فقد فقدت المقاومة مع يورياه هيبوأمه
الذين استدرجانى الى الحديث فى كل ماكانا يرغبان
معرفته ٠٠ حتى تلك الأشياء التى لم أكن أرغب فى
ذكرها .

وعندما انتهى من معرفة كل ماكان يرغبان فيه ،
حولا مجرى الحديث الى ذكر اخبار مسستر ويكفيلد
وابنته آجنس ٠٠ الأشغال الكثيرة التى يعملها ٠٠ وكيف
يقضى وقته بعد تناول عشائه ٠٠ والخمر الكثيرة التى
يشربها ٠٠ وهكذا وجدت نفسى متورطا فى ذكر جميع
الاشياء التى لايجب أن أذكرها ٠٠

وبدأت أتململ وأرغب فى انتهاء هذه الزيارة .
وفجأة : رأيت رجلا كان يسير فى الشارع ٠٠ ولكنه
توقف أمام باب الحجرة وأطل برأسه الى داخلها ،
وصاح مندهشا :

– كوبرفيلد !! .. هذا مستحيل !!

كان هذا الرجل هو مستر ميكاوهر بعينه .. !
والحقيقة انى كنت لا أريد أن يعرف يورياه هيب
ولا أمه انى أعرف رجلا مثل مستر ميكاوهر .. ولكن
هذا الأمر انتهى تماما .. بعد أن استمر مستر ميكاوهر
فى صياحه :

– يا عزيزى كوبرفيلد .. انها حقا مصادفة
مدهشة !

ثم التفت الى يورياه وأمه وقال لهما :

– انها مفاجأة عظيمة .. لقد اكتشفت أن صديقى
كوبرفيلد يتناول معكما الشاى .. وسيكون من دواعى
الشرف بالنسبة لى أن يعرفكما بى ويعرفنى بكما ..

فقلت بذلك على مضض ..

وقالت مسز هيب :

– اننا ناس متواضعون .. وقد شرفنا مستر

كوبرفيلد بقبول الدعوة لشرب الشاي معنا .. اننا
نشكر له هذا الجميل !

وقال مستر ميكاوير يحدثنى :

– والآن .. ماذا تعمل يا كوبرفيلد ؟

فقلت له :

– انى ادرس بمدرسة الدكتور سترونج .

ولانى اصبحت راغبا الآن فى انهاء الزيارة فورا
ومصاحبة مستر ميكاوير الى الخارج ، فقد قلت له وانا
اهم بالقيام :

– وكيف حال مسـز ميكاوير ؟ .. هل يمكننى
الذهاب معك لزيارتها .. ؟

فقال وهو يتأهب للانصراف معى :

– سيكون هذا من دواعى سرورى .

وذهبت معه الى حانة صغيرة كان يعيش مع زوجته
فى احدى حجراتها . وسالتهما مستفسرا :

– ولكن .. لماذا جئتما الى هذه المنطقة ؟

فأجابت مسز ميكاوبر :

– بعض أقاربي يقيمون هنا .. وكنت أتوقع أنهم
سيساعدوننا بايجاد عمل لمستر ميكاوبر .. ولكنى
شعرت بأنهم غير مسرورين لرؤيتنا .. وكان الشيء
الوحيد أمامنا هو أن نقترض منهم بعض النقود لنتمكن
من العودة الى لندن .. ولكننا توقفنا هنا لعلنا نجد
عملا فى صناعة الفحم ..

وقبل أن تنتهى الزيارة طلبا منى أن أقبل الدعوة
لتناول العشاء معهما فى اليوم التالى .. ولم استطع
رفض الدعوة ..

وفى عصر اليوم التالى ، استدعيت من حجرة
الدراسة ، فخرجت ورأيت مستر ميكاوبر ينتظرنى
ويخبرنى بأن العشاء جاهز .

وفى المساء رأيت مستر ميكاوبر ويورياه هيب
يسيران معا ذراعا فى ذراع .. ولم يسرنى هذا المنظر
ولم أرتح له ..

وبعد ظهر اليوم التالى ، ذهبت لزيارة مستر
ومسز ميكاوهر فى الحانة ٠٠ وتناولنا العشاء معا ٠٠
وأخذ يحدثنى عن يورياه قائلا :

— ان صديقك يورياه هيب ٠٠ له عقل كبير واسع
الادراك ٠٠

وكان العشاء طيبا ٠٠ وكان مستر ميكاوهر فى
غاية المرح ٠٠ وغنى أغنيات كثيرة ٠٠ وعشنا جميعا
لحظات رائعة من الصداقة والود ٠٠ ولا أظن أنى رأيت
أحدا فى حياتى أسعد وأهنا من مستر ميكاوهر فى تلك
الأمسية .

ومع ذلك ٠٠ ففى الساعة السابعة من صباح
اليوم التالى ، تلقيت هذه الرسالة العاجلة :

« لقد انتهى كل شىء ٠٠ ولم يعد هناك أمل فى
الحصول من اقارب زوجتى على أية نقود ٠٠ لقد
اصبحت عاجزا عن سداد ما انا مدين به ٠٠ وسيكون
مصيرى السجن فورا ٠٠ وهذا آخر ماسوف تسمعه
عنى » .

اندهشت وشعرت بالخوف والاضطراب بسبب
هذه الرسالة المفاجئة . وانطلقت صوب الحانة لعلنى
استطيع أن أقدم أية مساعدة . .

ولكن بينما كنت منطلقا فى الطريق . . رأيت عربية
السفر الى لندن منطلقة هى الأخرى . . وفى مؤخرتها
كان يجلس مستر ميكاوهر وزوجته . . وكان يبدو فى قمة
السعادة ويقهقه ضاحكا على شىء قالتة مسز ميكاوهر
فيما يبدو . . وكانا يأكلان بعض الحلويات من لفة
ورقية كانت تضعها مسز ميكاوهر على ركبتها . .

الجزء الرابع

العالم ..

٢١ - وتركت المدرسة

انتهت دراستى بالمدرسة ، وأصبح من الضرورى
ان نتناقش انا وعمتى فى موضوع مستقبلى ونوع العمل
الذى ساشغله . وقالت عمتى :

- ان هذا موضوع هام .. وعلينا أن نكون
حريصين ولا نرتكب خطأ .. عليك أن تفكر فى هذا
الأمر كرجل ناضج ، وليس كتلميذ فى مدرسة !

فقلت لها :

- سأفعل ذلك يا عمتى !

- اذن .. اعتقد ان السفر وتغيير الجو سيكونا مفيدين .. ان ذلك سيساعدك على التفكير واتخاذ القرار المناسب .. واقترح عليك ان تقوم برحلة لزيارة عائلة بيجوتى !

- هذه خير رحلة اقوم بها .. انى احب ذلك كثيرا ..

وهكذا .. ذهبت اولا الى كانتربرى لأودع اجنس واباها مستر ويكفيلد . وقلت لها :

- سأشعر بالحاجة اليك دائما .. أن أى شخص يحتاج عونك ، تكونين له خير عون .. يا اجنس !
فقلت اجنس :

- انى طيبة مع الجميع .. والجميع طيبون معى .
وقلت لها وانا اشعر بمنتهى الود :

- كلما واجهت مشكلة .. أو اذا وقعت فى الحب .. فسوف اخبرك .. اذا سمحت لى بذلك ..

فقلت :

- ولكنك كنت تقول لى دائما ان امور حبك تسير
على مايرام ..

- اوه .. لقد كنت طفلا واحببت طفلة .. وانى
اعجب لماذا لم تقى حتى الآن فى الحب .. ؟!

ادارت اجنس عينيها خجلا .. ولكنها بعد لحظة ،
نظرت الى باهتمام وقالت لى :

- هناك شىء اريد ان اسالك عنه .. الم تلاحظ
حدوث اى تغيير طرا على ابنى .. ؟!

• وكنت بالفعل قد لاحظت حدوث عدة تغييرات .
• فهزنت رأسى علامة على معرفة بعض الملاحظات .
وسالقتى اجنس :

- هل تستطيع ان تخبرنى بما لاحظت .. ؟

فقلت بصراحة :

- اعتقد انه يضر نفسه بالانفراط فى تناول

الشراب ٠٠ لقد أصبحت يداه ترتعشان ٠٠ كما أنه
أصبح لا يستطيع الحديث بوضوح ٠٠ وكذلك نظرات
عينيه أصبحت وحشية وغير طبيعية ٠٠ وقد لاحظت أنه
عندما يكون فى أسوأ حالاته فإن أحدا يستدعيه دائما
لأداء بعض الأعمال ٠٠

– تقصد يورياه هيب ؟

– نعم ٠٠ وكان مستر ويكفيلد يشعر عندئذ بأنه
قد أصبح عاجزا عن أداء عمله ٠٠ وفى كل يوم كانت
حالته تزداد سوءا ٠٠ وفى إحدى المرات ، رأيت أنه وقد
أسند رأسه على المنضدة وكان يبكى مثل الأطفال !

وعندما نويت مواصلة الرحلة الى لندن ، ساعدنى
يورياه هيب فى ربط صندوق سفرى .

وأخيرا ٠٠ وصلت الى لندن ٠٠

وذهبت الى المسرح ذلك المساء ٠٠ وعدت الى
الفندق الذى استأجرت غرفة فيه ٠٠ وبينما كنت فى
طريقى الى تلك الغرفة ، دخل الى صالة الفندق رجل

أعرفه جيدا ، برغم أنه لم يعرفنى لأول وهلة .. وعلى
الفور فاض قلبى وامتلأ عقلى بالذكريات الحلوة التى
كانت تربطنى فى الماضى بهذا الرجل ، فانطلقت اليه
وسالته مندهشا :

- ستيرفورث ! .. ألا تريد أن تتحدث معى ؟ .. !

وفى الحال تنبه سيرفورث وقال :

- من ؟ ! .. كوبرفيلد الصغير .. ؟ !

- يا عزيزى سيرفورث .. كم أنا سعيد برؤيتك !

- وكم أنا أيضا سعيد برؤيتك .. ان أمى تعيش
فى مكان قريب .. خارج لندن .

وتواعدنا على اللقاء للافطار صباح اليوم التالى .
وقال ستيرفورث عندما التقينا :

- ما رأيك فى البقاء معى فى هاى جيت لمدة يوم
أو يومين ؟ .. انى أحب ان أعرفك الى أمى .. فهى
سيدة طيبة وشديدة الفخر بى .. وتحدث عنى دائما .

فاغفر لها ذلك .. وأنا على يقين بأنها ستسر كثيرا
برؤيتك .

وعلى هذا فقد ذهبنا الى هاى جيت بعد عصر
ذلك اليوم .. ووصلنا الى بيت قديم مبنى بالطوب ..
ورأيت سيدة عجوزا كانت تقف عند بابه .. وعرفت
انها أم ستيرفورد .. وقابلتنى بترحاب ، وأدخلتنى الى
غرفة المعيشة .. حيث وجدت سيدة أخرى سوداء الشعر
والعينين ، وعلى خدها علامة تبدو كما لو كانت أثرا
لجرح قديم .. وكان اسم هذه السيدة مس دارتل ..
ولكن ستيرفورد وأمه كانا يدعوانها روزا ..

وعندما أصبحنا وحدنا .. توقعت ان يحدثنى
ستيرفورد عن مس دارتل .. ولكنه لم يقل شيئا ..
فسألته :

– انها تبدو ذكية .. أليس كذلك ؟

فقال على الفور :

– ذكية ؟ .. انها تزداد صرامة عاما وراء عام ..
انها متطرفة فى كل شيء .

- وهذه العلامة الغريبة التى تبدو فى وجهها ٠٠ ؟!
- الحقيقة ٠٠ انى كنت السبب فى تلك العلامة
- هل كان ذلك نتيجة لحادث ؟
- كنت عندئذ طفلا صغيرة ٠٠ واغضبتنى فقذفتها بمطرقة ٠٠
- انى آسف ٠٠ لانى تسببت فى هذا الحديث المؤلم ٠٠

فقال ستيرفورت :

- لقد حملت هذه العلامة على وجهها منذ ذلك الزمن ٠٠ وستظل تحملها حتى تذهب الى قبرها ٠٠ !
- انى لآشك فى انها تحبك كآخ لها ٠٠

أما مسز ستيرفورت فقد كانت تحب ابنها حبا جما ٠٠ وتبدو وكأنها لاتفكر فى أى شىء آخر أو لاتتحدث عن أى شىء آخر سواه ٠٠ فقد أرتنى جميع صورته ٠٠ منذ أن كان طفلا صغيرا ٠٠ وحين كان

صبيا يافعا أيام عرفته لأول مرة فى مدرسة مستر
كريكل ..

وكانت تحتفظ بجميع الخطابات التى أرسلها
لها منذ سنوات بعيدة وحتى وقت قريب .. وكانت تريد
أن تقرأ لى كل هذه الخطابات لولا أن منعها ستيرفورث
من الشروع فى ذلك .

وعندما صعدت الى غرفة نومى .. لاحظت وجود
صورة لمس دارتل موضوعة فوق رف المدفأة .. وكانت
تبدو كما لو انها تمنع النظر الى بعينها السوداءوين ..
وتلقى الى باسئلة شتى ..

وكان هناك خادم هادىء جدا اسمه ليتيمر يبدو كما
لو كان قوقعة أغلقت الصدفة على نفسها .. وكان
يحضر الى حجرتى كل صباح ليسألنى سؤالا واحدا
لايتغير :

— ان مستر ستيرفورث يحب أن يعرف هل قضيت
وقتا مريحا .. ؟

وكننت أقول له :

– شكرا لك .. أنا بخير .. وكيف حال مستر
ستيرفورت .. ؟

وكان يقول :

– بخير .. هل يمكننى أن أقوم بأية خدمة لك
ياسيدى ؟

– لا .. اشكرك ..

– شكرا لك ياسيدى ..

ثم ينصرف بهدوء شديد ويخرج من الحجرة ..

٢٢ - ستيرفورت يزور عائلة بيجوتى

أصر ستيرفورت على أن يصاحبنى فى رحلتى الى يارماوث لزيارة عائلة بيجوتى . وعندما وصلنا الى تلك البلدة ، وعدته أن نذهب سويا لزيارة العائلة فى المساء ، واستأذنت منه لفترة ، ذهبت فيها وحدى لزيارة بيت مستر باركيس . وهناك شاهدت بيجوتى وكانت منهمكة فى اعداد وطهى طعام العشاء . سألتها :

- هل مستر باركيس موجود بالبيت ؟

فاجابت دون أن يبدو عليها انها عرفتنى :

- نعم .. هو بالببيت .. ولكنه يرقد على سريره
مريضاً !

ولكنها تنبعت بعد ذلك الى وجودى . فخطت خطوة
الى الوراء وصاحت فى لهفة :

- اوه .. يابنى العزيز !!

وفى لمح البصر كان كل منا بين احضان الآخر ..
ثم صعدت الى حجرة النوم بالطابق العلوى ..
وفرّح باركيس بحضورى لزيارته ..

كان راقداً على ظهره فوق السرير ولا يتحرك الا
بصعوبة شديدة . ولكنه كان قادراً على الكلام بشكل
متواصل . وبينما كان يحدثنى ، جمع كل قواه ، وامسك
بعضاً كانت مسنودة الى جانب السرير ، ثم مدها الى
تحت السرير ليتحسس بها صندوقاً كان موضوعاً فى
ذلك المكان . وبعد أن تأكد من وجود الصندوق فى
مكانه ، فأنهض وجهه بالبشر والفرح . وقال لى :

- ملابس قديمة .. ليس فى هذا الصندوق سر

بعض الملابس القديمة .. كنت أتمنى أن يكون مملوءا
بالنقود .. !

– وأنا أيضا أتمنى لك نفس الأمنية .

– شكرا .. ولكن ليس فيه الآن الا بعض الملابس
القديمة .

وبعد أن غادرنا الغرفة ، شرحت لى بيجوتى كيف
يحافظ باركيس على أمواله .. وأن أشد اللحظات ألما
بالنسبة له ، تكون حين يحتاج البيت الى بعض النقود ،
فيضطر عندئذ الى فتح الصندوق لاختراج النقود
المطلوبة ، وقلبه يكاد أن ينفطر حزنا وألما .. !

وبعد العصر ، قابلت ستيرفورث وصحبته معى
لزيارة بيت مستر بيجوتى . واستقبلنا الجميع بفرح
وسرور بالغ . وكان أكثرهم فرحا مستر بيجوتى الذى
صاح بى قائلا :

– هذا شيء مدهش .. مصادفة سعيدة أن تحضر
لزيارتنا هذه الليلة بالذات .. فهذه الليلة دون كل

الليالى ، هى أسعد ليالىنا كلها .. فقد طلب هام من
اميلى الصغيرة أن تتزوجه !!

دق قلبى بشدة حين كنت أسمع هذه الأخبار ..
وحين رأيت السرور باديا على وجه هام بعد أن فاز
بتلك المخلوقة الصغيرة الجميلة .. وأحسست بفصّة
مؤلمة فى قلبى بعد أن تبين لى أنى مازلت أحب اميلى
الصغيرة .. ولكن كل أمل فى هذا الحب قد تبدد فى
لحظة خاطفة .

لزمت الصمت تماما ، ولم أعرف ماذا أقول فى تلك
المناسبة الحافلة بالمشاعر .. ولكن ستيرفورث قال
الكلمات الصحيحة التى يجب أن يقال فى مثل تلك
المناسبات :

- مستر بيجوتى .. انك رجل طيب ولك كل الحق
فى أن تكون سعيدا كل هذه السعادة فى هذه الليلة ..
أما انت يا هام .. فانى أتمنى لك السعادة والفرح ..
وجلسنا جميعا حول نار المدفأة .. وأخذ

ستيرفورث يحدث اميلى الصغيرة عن المراكب
والصيادين والسمك .. ثم أخذ يحدث مستر بيجوتى
عن الفترة التى قضيناها سويا فى مدرسة سالم
هاوس .

وطوال هذه الأحاديث ، كانت اميلى الصغيرة تنظر
الى ستيرفورث باهتمام ، وتنصت بامعان الى كل كلمة
قالها .. لقد ثبتت عينيها عليه وكأنها لم تكن ترى
أحدا سواه !

وامتدت بنا السهرة الى قرب منتصف الليل ..
وقبل أن ننصرف . تهيا الجميع لتوديعنا عند باب
البيت .. ثم ظلوا يراقبوننا حتى تلاشى منظرنا فى
ظلام الطريق .

ووضع ستيرفورث ذراعه فى ذراعى وسرنا ..
وبعد لحظة قال ستيرفورث :

— كم هى جميلة تلك البنت الصغيرة .. انهم ناس
مدهشون .. يعيشون فى مكان غريب وبيت
غريب .. انى سعيد بتعرفى واختلاطى بمثل هؤلاء

الناس .. ومن حسن حظنا أننا وصلنا اليهم فى ليلة
تتألق فيها سعادتهم .. ولكنى لاحظت أن هام لا يثير
اهتمام الفتاة .. واعتقد أنها غير فرحة به .. أليس
كذلك .. ؟!

أدهشنى سماع تلك الكلمات .. ولكنى لاحظت
أن ستيرفورث يضحك بعد أن قال كلماته .. فقلت له
وأنا أحاول أن أتجاوز تلك الدهشة :

- ستيرفورث .. انى أعرفك جيدا .. انك تحاول
أن تخفى طبيعتك وراء الضحك .. وأنا سعيد لأنك تعرفت
على هؤلاء الناس البسطاء وهم يعيشون أسعد
أوقاتهم .. !

٢٣ - فى يارماوٲ

قضىنا أنا وستيرفورٲ نحو ثلاثة أسابيع فى تلك المنطقة . وفى بعض الأحيان كنا نخرج الى البحر مع مستر بيجوتى فى مركبه . ولكنى لم أكن أرى ستيرفورٲ كثيرا . فد كنت أذهب فى أغلب الأوقات لزيارة الأماكن القديمة والأصدقاء القدامى الذين كنت أعرفهم جيدا وكانت تربطنى بهم ذكريات ماضية .

ذهبت لزيارة بيتنا القديم . . لقد جفت الحديقة ولم يعد يعتنى بها أحد . وتساقطت الكثير من أشجارها أو اجتثت !

وفى احدى المرات عدت متأخرا أكثر من المعتاد الى
بيت مستر بيجوتى ، فلاحظت أن ستيرفورث كان لم يزل
جالسا أمام المدفأة ومستغرقا فى تفكير عميق . فتقدمت
اليه ووضعت يدي على كتفه ، فهب واقفا وقال وقد
أخذته المفاجأة :

– اوه .. لقد جئت كما يأتى الشبح !

فقلت له :

– أرى انى أخرجتك من أحلام كنت مستغرقا
فيها .

فقال بنبرة لا تخلو من حزن :

– كنت اتخيل فى لهيب النار صورا تكاد أن تكون
حية .. كنت أفكر فى أن كل الناس الذين نراهم الآن
سعداء .. سيأتى يوم يتفرقون فيه أو يموتون .. كنت
أتمنى وأنا جالس وحدى هكذا لو كان لى أب حكيم
ينصحنى أو يرشدنى خلال العشرين عاما الماضية ..
ولكن على أن انصح نفسى بنفسى .. وكما أتمنى أن
أنجح فى ذلك !

لقد اندهشت لحزنه . وسألته السبب فى تلك
الحالة ، ولكنه أخذ يضحك وهو يأخذ بذراعى ويهم
باصطحابى الى خارج البيت . وقال :

– أبدا .. لاشئ .. لاشئ بالمره !

ومرت لحظة ثم قال مواصلا الحديث :

– هل تعلم أنى اشتريت قارباً سأقوم بتشغيله فى
هذه المنطقة .. ؟!

فصحت مندهشاً :

– يالك من شخص غريب يا ستيرفورت .. لماذا
فعلت ذلك .. وربما لاترغب فى زيارة هذه المنطقة مرة
أخرى ؟ !

فقال على الفور :

– لا .. صدقنى .. لقد أحببت المكان ..
واشتريت القارب لأظل بهذه المنطقة .. وسأقوم
مستر بيجوتى بالعناية به وتشغيله فى الفترات التى

لا أكون فيها هنا .. ولا بد أن أعيد طلاء القارب ..
وسأكلف لىتيمر أن يقوم بهذا العمل .. هل تعلم بأنه
جاء الى هنا ؟

- لا ..

- لقد وصل هذا الصباح .. ان القارب اسمه
الآن « طائر العاصفة » .. وسوف أطلق عليه اسما
جديدا ..

- ماذا تفوى أن تسميه .. ؟

- سأسميه « اميلى الصغيرة » .. !!

- ولكن .. أين ذهبوا جميعا .. انى لا أرى أحدا
منهم فى البيت .. !؟

فقال ستيرفورت فجأة :

- هامم .. انظر هناك .. لقد عادت اميلى
الصغيرة « الأصلية » .. ومعها هامم ..

وعندما رأت اميلى الصغيرة ستيرفورت عن بعد ،

انزلت ذراعها من ذراع هام .. وسارت وحدها وظهر
عليها شيء من الاضطراب .

وفجأة ظهرت سيدة شابة .. كانت تبدو وكأنها
تتبع خطوات اميلى وهام .. وكانت ترتدى ملابس رثة
فقيرة ، وتظهر فى وجهها ملامح حزينة . فقال
ستيرفورث :

- انى مندهش .. من هى هذه المرأة ذات الظل
الأسود .. ولماذا تتبع خطوات الفتاة .. ماذا يعنى
هذا .. ومن أين جاءت هذه المرأة .. ؟ !

وكنا قد وصلنا الى الحانة ، فدخلنا وتناولنا طعام
عشاءنا .. وبعد أن انتهينا من ذلك ، وصل ليتيمر وقال :

- لقد وصلت مس ماوشير الى هنا ..
فتساءل ستيرفورث :

- وماذا تفعل هنا ..

فاجاب ليتيمر :

- يبدو أنها تعمل فى هذه المنطقة أيضا .

وفتح باب الحانة ، ودخلت امرأة ضئيلة الجسم ،
فى حوالى الأربعين أو الخامسة والأربعين من
عمرها ٠٠ فاستدعاها ستيرفورت لى تقص له شعره ٠
فهى حلاقة تمتهن حرفة العناية بشعر الرجال
والسيدات وكانت تحمل حقيبة أخرجت منها مجموعة
من الزجاجات وعدة أشياء أخرى ، وشرعت على الفور
فى عملها ٠٠ ولكنها لم تتوقف عن الحديث لحظة
واحدة ٠٠ وأخذت تحكى قصصا وأخبارا عن جميع
السيدات الجميلات من زبائنها ٠ ولكنها قالت :

آه ٠٠ يبدو انى لن أجد عملا هنا ٠٠ فلم أر أية
سيدة جميلة منذ أن وصلت الى هنا ٠٠

فقال ستيرفورت :

— اعتقد ان باستطاعتنا أن نريها إحدى الجميلات
اللاتى يعشن فى هذه المنطقة ٠
فقلت مصدقا على قوله :

— نعم ٠٠ انها شابة جميلة ٠٠ اسمها اميلى ٠٠
يامس ماوشير ٠

فقال الحلاقة :

— آهاه !

ولم استرح الى منظر هذه الحلاقة ولا الى طريقته
فى الكلام . ولذلك فقد قلت بنعمة أكثر جدية :

— انها حقا جميلة ، ولكنها طيبة أيضا .. ولقد
وعدت بالزواج شخصا من مستواها ويناسبها تماما ..
اسمه هام

فقال مس ماوشير :

— اوه .. حقا .. هذا شيء رائع !

وجمعت الحلاقة زجاجاتها وأدواتها ووضفتها فى
الحقيبة .. واعطاها ستيرفورت أجرها .. ثم انصرفت
وهى تواصل الكلام حتى آخر لحظة .

وذهبت بعد ذلك الى بيت مستر باركيس ..
واندهشت عندما رأيت هام يتمشى جيئة وذهابا خارج
البيت . وقال عندما رآنى :

— ان اميلى بداخل البيت .. انها تتحدث مع
انسانة كانت تعرفها فى الماضى .. ولا يجب أن تعرفها

الآن .. امرأة مسكينة يامستر دافيد .. والناس فى هذه
المدينة الصغيرة لا يعرفون عنها شيئاً ..

ـ لقد رأيت هذه المرأة .. وكانت تتبع خطواتكما .

ـ اوه .. نعم .. لقد وقفت تحت نافذة اميلى
ونادت عليها : اميلى .. اميلى .. اشفقى على ..
لقد كنا زميلتين نعيش سوياً نفس الحياة ! .. فطلت
اميلى من النافذة وقالت : من .. أهذه أنت يامارتا ؟
لقد كانت اميلى تعمل مع مارتا هذه فى متجر مستر
أومار .. ورتبت اميلى أن تلتقى مع مارتا هنا .. فى
هذا البيت .

وانفتح باب البيت وظهرت بيجوتى .. واستدعت
هام لدخول .. وكانت تبكى .. وكذلك كانت تفعل
اميلى .. وقالت لهام :

ـ انها تريد الذهاب الى لندن ..

فأعطاها هام بعض النقود .. وهبت مارتا واقفة .
وكانت تحاول أن تتكلم بشيء .. ولكنها لم تفعل ولم
تستطع .. وانصرفت وهى تبكى ..

٢٤ - حفلة مريحة

رتبت عملى أمر تدريبي على أعمال المحاماة لدى مكتب « سنبلو وجوركينز » بلندن . . ودفعت للمكتب أجر تعليمى هذا العمل .

وهكذا أصبحت أعيش فى شقة مستقلة تقع بمبنى مجاور للمكتب . . وكم هو جميل أن يشعر الإنسان أنه يعيش فى مكان مستقل لا يشاركه فيه أحد . . ولكن وبالرغم من ذلك فقد كنت أشعر كثيرا بقسوة الوحدة . .

وذات صباح فوجئت بحضور ستيرفورت . فصحت فيه مرحبا :

- يا عزيزى ستيرفورث .. كنت اظن انى لن اراك
ابدا .. هل تبقى لتتناول الافطار معى .. ؟

- لا لا لا .. لا استطيع .. فانا على موعد مع
بعض الاصدقاء .

- ستحضر اذن لتتناول معى طعام العشاء ؟ !

- لا استطيع .. فلا بد ان اقضى الليلة مع اثنين
من اصدقائى ..

- ولماذا لاتدعو صديقك لتتناول العشاء جميعا
هنا .. ؟ !

فوافق ..

وهكذا اعدنا حفلة عشاء مريحة ، تناولنا فيها
الكثير من النبيذ .. وافرطت فى الشراب حتى اصبحت
اكثر مرحا وابتهاجا .. والقيت خطبة .. كما القى
ستيرفورث خطبة اخرى .. ثم شربنا نخب الجميع
فردا فردا ..

ثم توجهنا جميعا الى المسرح .. وهناك رايت
أجنس .. وعندما التقت عيوننا ، لاحظت ملامح الحزن
والدهشة تتبدى واضحة على وجهها . ومع ذلك فقد
صحت مهللا :

- أجنس .. أجنس .. هذا شيء عظيم أن أرى
أجنس !!

فقلت على الفور محاولة اسكاتى :

- الصمت .. لاتصنع كل هذه الضجة .. !
فصحت مندهشا :

- أجنس .. ؟ !!

فقلت بصوت منخفض :

- أنك فى حالة غير طيبة .. اسمع .. أن عليك
أن تنصرف الآن .. !

فقلت بصوت غبى :

- انصرف الآن .. لماذا ؟ !

فالت بحزم :

— اسمع .. انى اعرف انك ستطيعنى .. عليك
ان تنصرف الآن .. اطلب من اصدقائك ان يصحبوك الى
بيتك .

وفى صباح اليوم التالى ، وبينما كنت اتأهب
للخروج من البيت ، تلقيت رسالة من اجنس :

« عزيزى قرتوود .

انى اقيم مع مستر ومسز ووتربروك ، فى ايلنج
بليس ، هولبورن .. هل تاتى لزيارتى اليوم ؟ »

وكتبت خمسا او ست اجابات على تلك الرسالة ..
محاولا الاعتذار وابداء الأسف على ما حدث منى ليلة
الأمس بالمسرح .. واخيرا كتبت :

« عزيزتى اجنس .

ساحضر فى الساعة الرابعة بعد الظهر .»

وفى الساعة الرابعة تماما ، دخلت الى حجرة

الاستقبال حيث كانت أجنس جالسة فى هدوء وفى حالة
طيبة • فبادرتها باعتذارى واسفى :

- كنت أتمنى ألا ترينى فى الحالة التى كنت بها
ليلة الأمس •• أنت دون كل الناس ••

فوضعت يدها على ذراعى وقالت :

- اجلس •• ولا تكن تعيسا هكذا •• اذا كنت لاتثق
بى ، فمن ذا الذى ستثق به اذن •• ؟!

- اوه يا أجنس •• أنت خير أصدقائى !

- اذا كنت خير اصدقائك حقا ياتروود •• فهناك
شئ أريد أن تتنبه اليه جيدا •• أريد أن أذكرك من الد
واسوا أعدائك •• اقصد ستيرفورث •• فان له تأثيرا
عليك فى غاية السوء •• !

فقلت لها مندهشا :

- ياعزيزتى أجنس •• انك تظلمينه بمثل هذا
الظن •• فليس من العدل أن تحكمى عليه بهذا الحكم
بسبب ماحدث ليلة الأمس ••

- ليس لهذا السبب وحده .. بل هناك اسباب
أخرى غير ذلك ..

ثم صممت لحظة وقالت :

- يجب ألا تنسنى .. يجب ألا تنسى أنك
وعدتني بأنك سوف تخبرنى اذا وقعت فى مشكلة أو
وقعت فى الحب .. !

ثم سألتنى ان كنت قد رأيت يورياه وهى تقول فى
نفس الوقت :

- انى متأكدة من انه سيصبح شريكا لأبى فى
المكتب !

فصحت مندهشا :

م ماذا ؟ ! .. هل سيصبح هذا الشخص شريكا
لأبيك فى مكتبه .. ؟ !

فقلت أجنس :

- نعم .. وأنا أخشى ان يكون ذلك على غير رغبة
أبى .. لقد أصبح أبى يخاف منه .. انه قد سيطر على

أبى تماما .. لقد بدأ أبى يفقد اهتمامه بالعمل رويدا رويدا .. وأصبح لا يهتم إلا بى أنا وحدى .. حتى أصبحت أحس بأننى السبب فيما لحقه من فشل فى عمله ..

وبعد ذلك بعدة أيام دعيت لحضور حفلة فى ووتربروكس .. وقابلت يورياه هناك .. وظل ملازما لى منذ بداية الحفلة حتى نهايتها وحتى انصرفت . وكانت أجنس قد طلبت منى أن أكون لطيفا معه . ولذلك فقد صحبته الى شقتى ، حيث قدمت اليه بعض القهوة .

وقال يورياه بطريقته المعروفة :

— اوه يا مستر كوبرفيلد .. أراك تقوم بخدمتى وتقديم القهوة الى بنفسك .. ان هذا أكثر مما أتوقعه . ولكن على أية حال فقد حدثت أشياء كثيرة لم أكن أتوقعها .. انى أتمنى أن أكون قادرا على معاونة مستر ويكفيلد .. لقد أصبح غير عاقل بالمرة .. ولو كان هناك شخص آخر غيرى يعمل مع مستر ويكفيلد خلال السنوات القليلة الماضية ، لكان قد سيطر عليه تماما ..

وعندما كان يقول هذه الجملة الأخيرة ، أغلق
قبضة يده بقوة ، وكأنه كان يعصر شيئاً بين أصابعه ..
ولذلك فقد كرمته ..

ثم عاود يورياه حديثه قائلاً :

– ان مس أجنس كانت جميلة جداً هذه الليلة !

فقلت مصدقاً على كلامه :

– انها تبدو هكذا دائماً .. أنبل وأجمل من أية
انسة أو سيدة تكون بجانبها أينما كانت !

فقال يورياه :

– شكراً لك !

فقلت له على الفور :

– ليس هناك سبب لتشكرنى على ذلك .

قال :

– هناك سر سأخبرك به .. فبالرغم من انسى
شخص متواضع وبسيط .. فانى أعشق التراب الذى
تسير عليه عزيزتى أجنس !

وتمنيت لو أنى قتلته بعد أن قال هذه الكلمات ..
ولكنه استمر فى حديثه :

- انها تحب أباهما حبا جما .. ولأجل ذلك فانى
أتوقع أن تستجيب لى وتعطف على .. !

وهكذا اكتشفت خطته .. فقد سيطر يورياه على
مستر ويكفيلد تماما حتى يجبره على أن يعطيه أجنس
روجة له .. واستمر يورياه فى الحديث :

- ولكن لاداعى للمعجلة فى هذا الأمر .. ان
عزيزتى أجنس مازالت صغيرة ..

وفى تلك الليلة نام يورياه على مقعد فى غرفة
الجلوس بشقتى .. وحلمت بأن: أجنس تقوسل الى
لكى انقذها من هذا المصير ..

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى ، دخلت
فوراً الى غرفة الجلوس . فرأيت يورياه مازال ممددا
فوق المقعد .. تتدلى ساقاه على الأرض .. وفمه
مفتوح عن آخره ..

وكان بوسعى أن أقتله .. ! !

٢٥ - دورا ٠٠

فى كل يوم ، كنت اذهب الى مكتب مستر سبنلو للتدريب على العمل . وبعد مضى بعض الوقت ، دعانى مستر سبنلو للذهاب معه الى بيته الريفى . وعندما وصلنا سال مستر سبنلو احد الخدم :

- اين مس دورا ؟

فقلت فى نفسى :

- دورا ؟ ٠٠ ياله من اسم جميل !

وعندما دخلنا الى اقرب حجرة بالبيت ، قال لى مستر سبنلو :

– مستر كوبرفيلد .. هذه هي ابنتى دورا ..
وما أن وقعت عينى عليها حتى أحببتها بجنون من أول
نظرة .. ! وأشار الى سيدة أخرى وقال :

– وهذه صديقه لابنتى ..

فقالت السيدة :

– انى أعرف مستر كوبرفيلد من قبل .. !

كانت هذه السيدة هي مس مارلاستون !!

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكرا وخرجت
الى الحديقة . وهناك قابلت دورا . فقلت :

– لقد خرجت الى الحديقة مبكرة يامس سبنلو ..

فأجابت بنعومة :

– نعم .. ففى صباح كل أحد .. لا أواظب على
تمريناتى الموسيقية .. ان الصباح هو أشرق أوقات
اليوم ..

فقلت :

- وهذا الصباح هو أشرق الأوقات كلها ..
بالنسبة لى !

ومن أحد ممرات الحديقة .. جاء كلب صغير يجرى
نحو دورا .. فرفعته بيديها وضمته الى صدرها ..
فقلت فى نفسى : كم هو محظوظ هذا الكلب !

ومضى النهار كله جميلا هادئا .. حيث خرجنا
جميعا للنزهة .. وفى فترة المساء جلسنا فى حجرة
المعيشة نقرأ فى بعض الكتب ونشاهد بعض الصور ..
وقبل أن أتوجه لحجرة النوم ألقىت تحية المساء على
مستر سبنلو وقلت له : تصبح على خير ..

ولم يعرف مستر سبنلو أنئذ ، انى أصبحت أنظر
اليه باعتباره والدا لزوجتى مستقبلا .. !!

٢٦ - ستيرفورت يعود

عدت الى شقتى بلندن .. وجاء مستر ومسز
ميكاوبر لتناول العشاء معى .. وكانت حفلة ممتعة
بهيجة . وكنت قد قابلت « ترادلز » صديق طفولتى
وزملى فى مدرسة سالم هاوس . فدعوته للحضور
الى تلك الحفلة فلبى الدعوة وأزدادت بهجتنا .. وفجأة
نق الباب .. ودخل ليتيمر خادم ستيرفورت . فسأله
مدهشا :

- ما الأمر .. ماذا حصل ؟

فأجاب بهدوئه المعتاد :

- عفوك ياسيدى .. لقد أمرت بأن أحضر الى
هنا ..

- وهل سيدك هنا .. ؟

- لا يا سيدى ..

- هل رأيته هنا .. ؟

- عفوك ياسيدى !

- هل سيحضر مستر ستيرفورت من أكسفورد ؟

فتحاشى الاجابة على سؤالى وقال :

- اظن انه سيحضر الى هنا غدا ..

فسالته محاولا معرفة المزيد بوضوح :

- ليتيمر .. هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- لتيمر .. هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- لا ياسيدى .. ليس طويلا جدا ..

- وهل انتهيت من اعداد القارب الذى اشتراه
مستر ستيرفورث ؟

- نعم يا سيدى ..

- وهل رأى مستر ستيرفورث القارب بعد اعداده ؟

- لا استطيع أن اقول ياسيدى .. تصبحوا جميعا
على خير !

وانصرف .. وارتعنا جميعا لانصرافه .. ولم
اعد اثق فى هذا الرجل .

وبعد ان انتهت الحفلة وانفض الجمع .. جلست
وحيدا بجوار المدفأة وأنا أفكر فى أمر مستر ومسز
ميكابور .. وفجأة سمعت وقع خطوات صاعدة على
السلم .. وظننت فى البداية أن القادم هو ترادلز ..
ولكنى تبينت بعد ذلك أنه ستيرفورث ، الذى قال فور أن
رأبى :

- أراك عدت الى عمل الحفلات من جديد .. لقد

رأيت ضيوفك وهم يتحدثون بصوت مرتفع عن كرمك
وفضلك ويثنون عليك ..

وقدمت اليه بعض الطعام .. فجلس الى المائدة
وهو يقول :

- هاهو عشاء يليق بملك .. !

ثم اضاف بعد لحظة :

- لقد جئت قادما من يارماوث ..

- ظننتك قادما من أكسفورد ..

فقال وهو يواصل تناول الطعام :

- لا .. لقد استخدمت القارب الذى اشتريته ..

على فكرة .. معى خطاب مرسل اليك .. ان مستر
باركيس العجوز مريض جدا ..

وناولنى الخطاب ، فقرأته على الفور . وقلت :

- اعتقد ان من الضرورى أن اذهب لأراهم !

وعندما تهيأ ستيرفورث للانصراف قلت له مودعا

- تصبح على خير يا عزيزي ستيرفورث .. انسى
ذاهب لرؤيتهم غدا .

ووضع كلتا يديه فوق كتفي وقال قبل ان ينصرف :

- تصبح على خير .. ولكن اذا حصل اى شىء
يفرقنا .. فارجو ان تفكر فى حسناتى دون سيئاتى !
فقلت له :

- كلك حسنات بالنسبة لى ..

فقال :

- ليباركك الله .. وتصبح على خير .. !

٢٧ - باركيس يذهب مع الموج ..

وصلت الى يارماوث .. وتلقتنى بيجوتى بين
ذراعيها ، شاكرة لى حضورى لزيارتها فى هذا الوقت
العصيب .. وشكرتنى على ذلك مرات ومرات .. وقالت
ان مجرد حضورى قد سبب لها الكثير من الراحة
والمسكينة .. وان مستر باركيس يشعر نحوى بكثير
من الحب والتقدير ، وانه يتحدث عنى دائما بكلام
طيب .. وقالت ايضا انه الآن مستغرق فى النوم ،
ولكنه عندما يستيقظ ويرانى سيسعد كثيرا وتعود اليه
بهجته ..

ولكن إذا وازحا انه لا يوجد شيء فى الدنيا يمكن
أن يعيد البهجة الى مستر باركيس . . . لقد كان فى دور
الاحتضار . . . يرقد غائبا عن الوعي وقد أسند رأسه
وكتفيه على مقعد بجانب السرير ، بينما بقية جسمه
ممددة فى ضعف على السرير ، وعلى المقعد كانت
ذراعاها تحيطان بصندوقه العتيد الذى كان يقول دائما
أن محتوياته مجرد « ملابس قديمة » . . .

لقد أصبح الآن ضعيفا غير قادر على الحركة . . .
أصبح عاجزا عن الامساك بالعصا التى كان يتحسك
بها صندوقه العتيد الموضوع تحت سريره ، لذلك
فقد طلب منهم أن يضعوا الصندوق على ذلك المقعد
الملاصق للسرير حتى يصبح أقرب ما يكون اليه . . .

وما هو ذا راقد على السرير يحتضر فى هدوء . . .
ويحاول أن يحتضن صندوقه فى يأس وبلا عافية . . .
والحياة تتسلل فى ببطء خارجة من جسده الواهن
الضعيف . . . وكانت آخر كلماته التى سمعناها بوضوح
« مجرد ملابس قديمة » . . . !

وقالت بيجوتى بصوت حزين :

- باركيس .. ياعزيزى .. هاهو مسبتر دافيد
قد جاء ليـراك .. باركيس .. هل تريد أن تتحدث
اليه .. ؟!

ولكن الصمت العميق كان يلفه .. وجاهد بآخر
أنفاسه لكى يقول شيئاً .. ونطق بالفعل بقليل من
الكلمات المتقطعة غير الموصولة .. عن ذكرى قيادته
للعربة عندما كان يأخذنى الى المدرسة ..

وفجأة فتح عينيه .. والتفت نحوى .. وأضاء
وجهه بابتسامة راضية وقال فى وهن وبصوت ضعيف
لايكاد يسمع :

- « باركيس مستعد » .. !!

وكما تزحف الموجة على رمال الشاطئ ، ثم
تنسحب عائدة الى أعماق البحر .. ذهب باركيس مع
الموج .. ولكن بلا عودة !

٢٨ - هروب اميلي

كان المطر ينهمر بشدة حين كنت متوجها نحو بيت
عائلة بيجوتى .. وكان القمر مختفيا وراء السحب ..
ورأيت ضوءا يتسلل من احدى نوافذ البيت .. وطرقت
الباب ..

كان مستر بيجوتى جالسا بجوار المدفأة يدخلن
غليونه .. وكانت بيجوتى جالسة بجواره تخط بعض
الملابس .. اما مسز جاميدج فقد كانت جالسة فى
صمت فى ركن من الغرفة .

قلت موجهة الحديث الى بيجوتى :

– والان يا عزيزتى .. كيف حالك ؟ !

فقال مسـتـر بيجوتى كما لو كان يحرص على
الاجابة بدلا من اخقه :

– لقد تقبلت الامر ببساطة .. لقد أدت واجبها
نحو باركيس .. كما أن باركيس قد أدى واجبه نحوها .
والأحوال على مايرام .. !!

ثم قام .. وأحضر شمعة أشعلها ووضعها
خلف زجاج النافذة . وقال بصوت ملؤه الصدق :

– انى أشعل هذه الشمعة كل مساء لترشد
صغيرتنا اميلى حين تعود من عملها الى البيت ..
وسأظل أشعل شمعة كل يوم فى مثل هذا الوقت حتى
بعد أن تتزوج اميلى من هام ويصبح لهما بيت مستقل .
سأشعل الشمعة كل مساء وسأجلس هنا بجوار المدفأة
واتظاهر بانى انتظر قدومها .. تماما مثلها افعل الآن .
فكلما أرى هذه الشمعة مضاءة خلف الزجاج .. أقول
لنفسى ان اميلى ترى نورها وهى عائدة الى البيت ..

ولكى أثبت لك فولى أنظر الآن ٠٠ ها هي اميلى
قد وصلت ٠٠ !

ولكن الذى وصل ، كان هام وحده ٠٠

فسأله مستر بيجوتى مستفسرا :

- هام ٠٠ أين اميلى ؟ !

فعمل هام حركة برأسه ٠٠ كما لو كان يريد أن
يقول انها بالخارج ٠٠ ثم تقدم هام الى وقال :

- مستر دافيد ٠٠ هل تسمح بالخروج معى دقيقة
واحدة لترى ماذا احضرنا لك أنا واميلى ٠٠ ؟ !

وعندما خرجت معه من باب البيت ٠٠ لاحظت أن
وجهه شاحب شديد البياض ٠٠ وأسرع بغلق الباب
وانفجر فى البكاء فسأله ملقاعا :

- هام ٠٠ ماذا حدث ؟ !

وارتفع بكأؤه أكثر وأكثر وهو يقول :

- مستر دافيد ٠٠ مستر دافيد !

- هام ٠٠ أيها الصديق المسكين ٠٠ أخبرنى ماذا
حدث !

عندئذ تحامل على نفسه وقال فى يأس :

- حبى يامستر دافيد ٠٠ عروسى التى كانت أملا
لقلبى ٠٠ اميلى الصغيرة ٠٠ لقد هربت !!
- هربت ٠٠ ؟!

- نعم يامستر دافيد ٠٠ هربت ٠٠ أخبرنى بالله
عليك ٠٠ ماذا أقول لهم ٠٠ ماذا أقول للناس ٠٠ ؟!

وهنا فتح الباب وخرج الينا مستر بيجوتى ٠٠ ولن
أنسى ما حييت ذلك الشحوب الذى بان على وجهه ٠٠
ولا منظره حين أخذ يصيح ويهدد جميع النساء ٠٠ !

وقفت حائراً لا ادرى ماذا أقول أو ماذا أفعل ٠٠
وكننت ممسكاً بيدى الرسالة التى اعطانى اياها هام حين
كنا خارج البيت ٠ وبعد فترة من الصمت الحزين
قال هام :

- اقرأ الرسالة ياسيدى ٠

وبعد صمت يشبه الموت .. بدأت أقرأ ببطء :

« عندما تقرأ يا من تحبني كثيرا هذه الرسالة ..
سأكون قد ابتعدت بعيدا .. ولن أعود الا اذا عاد هو
بى بعد أن أصبح سيدة ..

قل لعمى انى لم أكن أحبه كثيرا .. ومع ذلك
أرجوك ان تعمل على راحته .. وجرب حظك فى الحب
مرة أخرى مع فتاة طيبة تكون صادقة معك ..

بارك الله فيكم جميعا .. وانى أصلى من أجلكم
راكعة على ركبتى .. واذا لم يعد بى بعد أن أصبح
سيدة ، فلن أصلى من أجل نفسى .. وانما سوف
أصلى للجميع » ..

وأبعد مستر بيجوتى عينيه عن وجهى كما لو كان
قد أفاق من حلم رهيب . ثم قال بصوت منخفض يبدو
كالهمس :

— من هو الرجل ؟ .. أريد أن أعرف اسمه .. !
فقال بصوت منكسر :

- انى لا ألومك يامستر دافيد .. لأن الرجل اسمه
ستيرفورت .

وعلى الفور ارتدى مستر بيجوتى معطفه ، وقال
لهام :

- اعطنى القبعة !

فساله هام عما ينتوى .. والى أين سيذهب ، فقال
بأصرار :

- سأذهب للبحث عن اميلى .. ولكنى سأذهب
أولا لأحطم ذلك القارب اللعين .. وبعد ذلك سأذهب
للبحث عنها ..

فساله هام :

- أين .. ؟

فاجاب بمزيد من الاصرار :

- فى أى مكان .. وفى كل مكان فى هذا
العالم .. سوف أجدها .. سوف أعيدها الى هنا .. !

٢٩ - مستر بيجوتى ومسز ستيرفورث

فى صباح اليوم التالى عدت الى لندن . . وصحبني
مستر بيجوتى بعد أن طلب منى أن أتوسط له لمقابلة مسز
ستيرفورث « والدة ستيرفورث » . فتوجهت اليها طالبا
السماح برؤية مستر بيجوتى ووصفته بأنه رجل طيب
ولطيف ولديه مشكلة يريد أن يعرضها عليها . فسمحت
له بالدخول . .

كانت مسز ستيرفورث جالسة على مقعد وثير . .
وكانت روزا دارتل واقفة خلفها . . ونظرت الى مستر

بيجوتى ونظر مستر بيجوتى اليها ٠٠ ثم اشارت اليه
بالجلوس فقال معتبرا :

- لا ٠٠ ساظل واقفا !

ثم اخرج من جيبه الرسالة التى تركتها اميلى
وقدمها الى مسز ستيرفورث وقال لها :

- ارجوك ان تقرئى هذه الرسالة ياسيدتى !

وبعد ان قراتها سالها مستر بيجوتى وهو يشير
الى جملة « بعد ان اصبحت سيدة » :

- هل سيحفظ وعده ويتزوجها ٠٠ ؟ !

فاجابت مسز ستيرفورث بحزم :

- لا ٠٠ طبعا !

فسالها مستر بيجوتى :

- لماذا ٠٠ ؟

- لماذا ؟ ٠٠ لانها اقل منه مقاما ٠٠

- ولماذا لاترفعونها الى مقامكم ؟

- انها غير متعلمة .. ولم تذهب الى مدرسة ..

- علموها .. !

- انها من عائلة متواضعة وفقيرة جدا ..

- اسمعى ياسيدتى .. انت تعرفين بلا شك مدى

حبك لولدك .. ونحن أيضا نعرف مدى حبنا لأولادنا .

ولكنك لاتعرفين كيف يكون حالك عندما تفقدين ولدك ..

وأنا أعاهدك بأن نقطع صلتنا بها تماما ولن نراها أبدا

بعد أن يتم الزواج ..

- هذا مستحيل .. ان مثل هذا الزواج سيدمر

مستقبل ابنى .. وسيعرضه للافلاس والخراب .. ومع

ذلك فيمكننى أن أعطيكم بعض

- تعطينا بعض النقود ؟! .. ان هذا سيكون

أسوأ مما فعله ابنك !

وهنا تغيرت ملامح مسز ستيرفورث وظهرت على

وجهها معالم الغضب .. وفى الحال انحنت روزا دارتل

التي كانت تقف خلفها وهمست في أذنها ببعض الكلمات
ولكن يبدو انها لم تقبل ما همست به روزا في أذنها .
وقالت :

– لا ياروزا .. لا !

وعندئذ قال مستر بيجوتى :

– لا ياسيدتى .. ليس هناك داع لأن تقلقى نفسك
الى هذا الحد .. لقد جئت الى هنا بدون أمل ..
وسأخرج من هنا بدون أمل مثلما جئت .. !

وخرج مستر بيجوتى وخرجت معه .. وتتبعتنا
روزا دارتل ، وسحبتنى من ذراعى جانبا . وقالت
ووجهها يحمل كل مظاهر الغضب :

– لماذا أحضرت هذا الرجل الى هنا ؟ .. الا تعرف
ان كلا من مسز ستيرفورث وابنها مجنونون بالفخر . بنفسه
وبعائلته ؟ .. لماذا أحضرته الى هنا اذن ؟ .. لا هو
ولا تلك الفتاة يساوى شيئا .. بودى لو اكوى وجهه

تلك الفتاة بالنار .. ثم ألقها في الشارع .. بودى
لو أقتلها .. !!

لقد رأيت أنواعا وأشكالا من الغضب تتبدى في
وجوه الناس .. ولكنى لم أر في حياتى غضبا عنيفا مثل
غضبها .. !

وعند لحقت بمستر بيجوتى ، كان يسير آنئذ ببطء
هابطا من التل . فسأله :

- والآن .. الى أين انت ذاهب .. ؟

فاجاب بصوت منخفض ولكن فيه الكثير من
الاصرار :

- سأذهب للبحث عنها ، مهما بعد بها المكان ..
واذا لحق بها أو بى أى سوء .. فانى أشهدك على
أن تتذكر أن آخر كلماتى عنها : ان حبى لها لم يتغير ..
وانى سامحتها .. !

الجزء الخامس

الزواج

٣٠ - الخطبة

اخبرنى مستر سسبنلو أن عيد ميلاد ابنته دورا سيكون الاسبوع القادم . . وانه سيكون مسرورا لو قبلت دعوته لحضور حفل عيد ميلادها فى بيتهم الريفى .

وفى اليوم المحدد غادرت لندن فى الصباح الباكر حتى أصل فى وقت مناسب . وعندما وصلت الى البيت ، رأيت دورا واقفة فى الحديقة ، ومعها صديقة شابة اسمها مس جوليا ميلز . . وكان كلبها الصغير جيب واقفا قرب قدميها .

وطوال اليوم ، كان ذهنى مشغولا بشيء

واحد هو : دورا .. أرى صورتها فى أشعة الشمس
المشرقة .. واسمع صـوتها فى تغريد الطيور
الجميلة .. !

جلسنا تحت الاشجار وتناولنا طعامنا .. ثم غنت
دورا وشدت بصـوتها العذب الرائع .. وتناولنا
الشاي .. وقبل المغرب عدت الى البيت راكبا عربة ..
وكانت دورا بجوارى .. !

وقبل أن أغادر البيت عائدا الى لندن ، انفتحت بـى
مس جوليا ميلز جانبا وقالت لى :

— مستر كوبرفيلد .. أريد أن أحدثك فى شىء ..
ان دورا ستقيم عندنا بعض الوقت ضيفة علينا .. وأتمنى
أن تحضر لزيارتنا !

وبعد أيام قليلة عـزمت على زيارة مس جوليا ميلز
فى بيتها حيث تقيم دورا .. وعـزمت فى الوقت نفسه
على عرض الزواج على دورا ..

وعندما وصلت كانت الاثنان جالسين فى حجرة
الاستقبال ٠٠ وبعد فترة استأذنت مس جوليا ميلز فى
الخروج من الحجرة وتركتنا وحدنا ٠٠

ولا أدري حتى الآن كيف أخبرت دورا بحبى لها ٠٠
لقد فعلت ذلك فى لحظة خاطفة ٠٠ قلت لها انى سأموت
بدونها ٠٠ !

٣ - الافلاس

عدت من زيارة صديقى القديم ترادلز .. وتوجهت
الى الحجرة التى كنت أقيم فيها أنا وبيجوتى ..
وأصابتنى دهشة شديدة حينما رأيت الباب مفتوحا
وسمعت اصواتا كثيرة بالداخل ..

وفوجئت بوجود عمى ومعهما مستر ديك .. وكانت
عمى جالسة على بعض الصناديق .. أما مستر ديك
فقد كان ممسكا بطيارة ورقية كبيرة ..

صحت مرحبا :

- أهلا بعمى العزيزة .. هذا سرور لم أكن

أتوقعه ٠٠ هل تذكرين يا عمتى هذه السيدة ٠٠ انها
بيجوتى ٠٠

فقلت عمتى لبيجوتى :

- مرحبا بك ٠٠ كيف حالك ؟

ثم التفتت الى قائلة :

- ليس من اللائق أن تدعوها باسمها القديم ٠٠
لقد تزوجت وأصبح لها الآن اسم آخر ٠٠ هو اسم
زوجها ٠٠ (١)

والتفتت عمتى الى بيجوتى وسألتها :

- ما اسمك الآن ٠٠ ؟

فقلت بيجوتى :

- باركيس .

(١) من المألوف في إنجلترا أن تترك الزوجة اسم عائلتها
وتسمى باسم زوجها واسم عائلته .

وعندئذ قالت عمى :

— هذا افضل .. كيف حالك يا باركيس ؟!

وتناولنا الشاي .. ومن وقت لآخر كنت لاحظ ان
عمى تنظر الى بطريقة غريبة .. وتعجبت من ذلك ..
فأنا لم أخبرها بعد بأى شىء عن دورا .. فهل كان هذا
هو السبب ؟ !

وأخيرا قالت عمى :

— تروت .. عليك ان تتمالك نفسك وتمسك
أعصابك وتسمعنى جيدا .

فقلت بلا تردد :

— حاضر يا عمى ..

— هل فكرت وسألت نفسك لماذا أنا جالسة هكذا
على هذه الصناديق ؟ !

— لا يا عمى .. ولا أعرف لماذا ..

فقلت ببساطة وبوضوح :

- لأن هذه الصناديق ملى كل ما املك .. لقد
افلست تماما يا عزيزى !

لو أنى سمعت خبرا عن غرق البيت وغرق جميع
من فيه .. لما اندمشت بمثل هذه الدهشة !

وواصلت عمى حديثها :

- ديك يعرف ذلك أيضا .. لقد افلست ..
واصبح كل ما املكه فى هذا العالم موجودا فى هذه
الغرفة .. باركيس .. هل يمكنك اعداد سرير لينام
ديك .. أى شىء يكفى لهذا الغرض ..

ووضعت عمى ذراعها حول عنقى وقالت انها
لا تأسف لشيء الا بالنسبة لى وحدى .. ثم اخفت
مشاعرها وقالت مشجعة :

- يجب ان نتحمل المصاعب ببسالة .. يجب الا
ندع المصاعب تخيفنا او تقلقنا .. لابد ان نشق حياتنا
مهما اكتنفتها من متاعب وصعاب .. ياتروت !

٣٢ - لقاء مع آجنس

كان أول شيء صممت أن أفعله فى صباح اليوم
التالى ، هو اعفاء نفسى من العمل من مكتب « سبذلو
وجوركينز » وأن استعيد منهما المبلغ الذى دفعته عمته
مقابل تدريبى . وجلست فى أحد أركان المكتب فى انتظار
وصول مستر سبذلو ، وأفكر فى الوقت نفسه فى دورا . .

وعندما وصل مستر سبذلو ورأنى ، هيانى قائلاً :

— كيف حالك يا كوبر فيلد . . انه صباح جميل . .

أليس كذلك ؟ !

فقلت :

- نعم ٠٠ هو صباح جميل بالفعل ٠٠ هل يمكننى
أن أتحدث معك قليلا قبل ذهابك الى المحكمة ٠٠ ؟
- طبعاً ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ تعال الى مكتبى ٠٠

وتبعته الى حجرة مكتبه ، وقلت له :

- انى أسف لما سوف أقول ٠٠ لقد وصلتني أخبار
سيئة عن عمى ٠٠ لقد أفلست وفقدت جميع أموالها ٠٠
ولذلك فأنا مضطر للانقطاع عن عملى بالمكتب ، وأرغب
فى استرداد ما دفعته عمى من نقود مقابل تدريبي .

فقال مستر سبتلو أسفا :

- انى أسف لذلك ٠٠ ولكن ذلك غير ممكن ٠٠
فلو كنت وحدى لكان من الممكن أن أرتب ذلك ٠٠ ولكن
هناك شريكى فى المكتب مستر جوركينز .

- اذن ٠٠ هل تعتقد أنى لو حدثت مستر جوركينز
فى الأمر ٠٠ سيكون من الممكن تسوية هذا الموضوع ؟

- لا .. لا اعتقد ان مستر جوركينز سيوافق على
شيء كهذا ..

ومع ذلك ، صعدت الى مكتب مستر جوركينز في
الطابق العلوى . وشرحت له موضوعى وطلبى ..
وفوجئت بقوله :

- اعتقد انك تحدثت فى هذا الموضوع مع مستر
سينلو ؟ ..

- نعم تحدثت معه .. وقال انه من الممكن ان
يوافق على هذا الطلب لولا ان

- اذا كان مستر سينلو لم يوافق فأنا ايضا لا
استطيع ان اوافق ..

- ولكنه قال

- انى أسف .. مادام لم يوافق فأنا لا اوافق
ولم اكتشف حتى الآن من ذا الذى لم يوافق
هل هو مستر سينلو .. او مستر جوركينز ؟ !

وبينما كنت أسير حائرا فى الشارع ، سمعت وقع
عجلات عربية صغيرة قادمة من خلفى . وعندما اقتربت
منى العربية ، رأيت وجهها جميلا . . رأيت أجنس
بنفسها . فصحت مهللا :

- أجنس . . عزيزتى أجنس . . ياله من سرور
أن أراك هكذا فجأة . . الى أين تذهبين ؟ !

فقالت وهى تنزل من العربية تسير بجانبى :

- انى ذاهبة لزيارة عمك . . انى لست وحدى

هنا . . معى أبى ويورياه هيب .

- يورياه هيب ؟ . . عليه اللعنة . . هل أصبح
شريكا لوالدك فى مكتبه . . ؟

- نعم . . أن له تأثيرا بالغا على أبى . . لقد
حدث تغيير فى بيتنا أود أن أخبرك به . . أن يورياه
وأمه يعيشان معنا الآن فى البيت . . وأسوأ ما فى هذا
الأمر ، انى أصبحت لا أستطيع أن انفرد بالجلوس مع

أبى وحدنا كما اعتدنا .. فيورياه هيب أصبح يفصل
بيننا ..

كانت عمى جالسة وحدها عندما وصلنا .. وحكت
لها عمى قصة مالحق بها من خسائر وكيف خسرت
كل أموالها .. ثم قالت فى النهاية :

– لا أدري ماذا يجب أن نفعل الآن .. فالكوخ
لن يدر علينا أكثر من سبعين جنيها كل سنة .. أما
ديك فلديه مائة جنيه هي كل مدخراته .. ولكنها تخصصه
وحده ..

فقات أجنس :

– علمت ان الدكتور قه أغلق مدرسته .. وجاء
ليعيش هنا فى لندن .. وهو يبحث عن شخص يساعده
فى اعداد كتابه الذى يؤلفه .. واعتقد ان تروتوود
يمكنه أن يلتحق بهذا العمل ..

فصحت فرحا :

– عزيزتى أجنس .. انت أفضل أصدقائى !!

وقمت على الفور بكتابة رسالة الى الدكتور
سترونج اطلب منه ان ياذن لى بمقابلته فى الساعة
العاشرة من صباح الغد .

اينما تكون أجنس . . فأنها تترك لمساتها الحلوة
على كل شىء فى المكان الذى توجد فيه . . فعندما
عدت الى البيت ، رأيت الحجرة مرتبة منظمة ، ورأيت
قفص الجليور الجميلة الخاصة بعمتى معلقا على
النافذة ، ورأيت مقعدى موضوعا بجوار النافذة بالقرب
من مقعد عمى . . وبينما كنت أتأمل هذه اللمسات
الرقيقة ، سمعنا طرقا على الباب . وعندئذ قالت
أجنس :

ـ اعتقد ان أبى قد وصل .

قمت وفتحت الباب . . ودخل مستر ويكفيلد ومعه
يورياه هيب . وأدهشنى التغير الكبير الذى لحق بمستر
ويكفيلد . . فقد علت وجهه حمرة غير صحية ، وازداد
ارتعاش يديه . . وفجعت بمنظره هذا . . فقد تيقنت
ان الرجل أوشك ان يفقد قواه تماما ، ويعتمد كلية على

يورياه هيب ذلك المخلوق الانتهازي المتسلق .. تماما
مثلما يعهد انسان الى قرد ليرعاه ويتولى شئونه !

وقالت عمى :

- مستر ويكفيلد .. لقد حدثت ابنتك فيما لحقنى
من خسارة وما فقدته من اموال .. لقد طلبت منها
المشورة والنصيحة .. انى اعتقد ان ابنتك اجنس هى
افضل عضو فى الشركة .

وهنا قال يورياه هيب :

- ساكون سعيدا لو ان مس اجنس ستصبح شريكة
لنا فى المكتب .

فقالت له عمى بشيء من الخشونة :

- لقد اصبحت شريكا فى هذا المكتب .. وهذا
يكفيك .. كيف تسير معك الاحوال ؟

واجابها يورياه بأن الاحوال تسير بطريقة حسنة ..
ثم قال بعد لحظة :

– اذا وجدت انا او امى او مستر ويكفيلد اية
طريقة لمساعدتك .. فان ذلك سيكون من دواعى
سرورنا .

وقال مستر ويكفيلد بصوت منخفض :

– ان يورياه هيب نشيط فى عمله .. وانا اوافق
على مايقول .

وقال يورياه هيب :

– انى سعيد بهذه الثقة !

وهنا قالت اجنس لابيها :

– ما رايك ياابى ان تخرج فى نزهة معى انا
وتروتود .. ؟ !

فقال يورياه هيب :

– لدى بعض الأعمال .. ولذلك فسوف اترك
مستر ويكفيلد معكم .

وخرج ..

وهكذا أتبع لنا أن نعاود احساسنا بالسعادة
وأن نتحدث بحرية عن ذكريات أيامنا السعيدة في
كانتربري ٠٠ وعاد مستر ويكفيلد الى حالته الطبيعية
السابقة ٠٠

وبعد أن تناولنا الطعام معا ، جلست أجنس بجوار
أبيها ، وصبت له كأسا من النبيذ ٠ وعندما حل الظلام
رقد نائما في هدوء ٠٠ فتسللت أجنس من جانبه واتجهت
نحو النافذة ٠٠ وعندئذ رأيت الدموع تملأ عينيها ٠

لن أنسى أبدا تلك الصديقة العزيزة ٠٠ لقد ملأت
قلبي بحب الخير ٠٠ وملأت عقلي بالأفكار
الطيبة ٠٠ لقد شجعتني لكي أقوى على ضعفى وانتصر
على الصعاب ٠٠ ا

حتى عندما حدثتها عن دورا ٠٠ كانت تنصت الى
وأنا أثنى على دورا وأعدد محاسنها ٠٠ آه يا أجنس ٠
ياشقيقة الروح منذ أيام الصبا ٠٠ ليتنى عرفت الآن
كل ما عرفته فيما بعد ٠٠ ليتنى عرفت ولو لمحة واحدة
من ملامح المستقبل !

توجهت فى طريقى الى هاى جيت ٠٠ وانا افكر
فى حياتى الجديدة التى اتوقعها فى الفترة القادمة ٠٠
وصممت على ان أعرض على الدكتور سترونج رغبتى
فى القيام بعملى فترتين كل يوم مقابل أجر مضاعف
حتى أتمكن من مواجهة تكاليف ونفقات حياتى
الزوجية ٠

وبينما كنت فى طريقى الى بيت الدكتور ٠٠ شاهدت
بيتا صغيرا يشبه الكوخ معروضا للبيع ٠ فتوجهت
اليه وتفرجت عليه من الداخل والخارج ٠٠ كانت هناك
حديقة صغيرة ملحقة به وتصلح فى نظرى للكلب
جيب ٠٠ واقتنعت أيضا بأن البيت مناسب تماما لحياتى
الزوجية ٠٠ مع دورا ٠٠

وصلت أخيرا الى بيت الدكتور سترونج ٠٠ ورايته
واقفا فى الحديقة ٠ وتهلل وجهه بالبشر حين رانى ٠
وصاح :

— عزيزى كوبرفيلد ٠٠ انى مسرور لرؤيتك ٠٠
ومسرور أكثر لرغبتك فى العمل معى ٠٠ ولكن اليس

من الأفضل أن تفكر في عمل أحسن من هذا .. اعتقد
ان مبلغ السبعين جنيها سنويا مبلغ ضئيل ولا يكفيك ..

فقلت له عارضا فكرتي :

- اعتقد انك ستعطيني المبلغ مضاعفا اذا اشتغلت
فترتين يوميا .. فترة في الصباح وثانية في المساء ،

وبدا واضحا أن الدكتور سترونج كان سعيدا بأن
أساعده في عمل القاموس الكبير الذي يقوم بتأليفه منذ
سنوات طويلة .. وكانت جيوبه كلها مملوءة بقطع
صغيرة من الأوراق عليها كتابات تخص العمل في هذا
القاموس . واتفقنا على أن نبدأ العمل معا في الساعة
السابعة من صباح اليوم التالي .

وبعد عدة أيام .. تلقيت رسالة من مستر ميكاوهر ،
يدعوني فيها لزيارته في حجرته التي استأجرها في
لندن .. وكتب في تلك الرسالة : « ستندهش عندما
نرى وتسمع ان الأحوال قد تحسنت على نحو أفضل » !

وعندما لبيت هذه الدعوة ، ووصلت الى حيث يعيش

مستر ميكاوهر ٠٠ لاحظت أن ولديه كانا راقدين على سرير بأحد أركان الغرفة ٠ كما لاحظت أيضا أنه قد تناول قبل وصولي مشروبا قويا ٠٠ وقال بعد فترة :

— سأذهب الى كانتربرى ٠٠ لقد سألتني صديقي يورياه هيب أن أعونه في عمله ٠٠ ان صديقي هيب رجل راجع العقل واسع الأفق ٠٠ انه لن يعطيني أجرا كبيرا ٠٠ بل سيقوم بسداد كل ديوني ا

اندهشت كثيرا لدى سماع هذه الأخبار واخذت افكر في معناها وفيما ورائها ٠٠ وقالت مسز ميكاوهر :

— انى على يقين من أن ميكاوهر لو شغل عقله فى الأعمال القانونية فسينجح ويتبوأ مكانة عالية ٠٠ وربما يصبح قاضيا ٠٠ هل تعتقد أن مستر ميكاوهر يستطيع أن يصبح قاضيا ٠٠ ؟

فاجبتها :

— ولم لا ٠٠ ؟

٣٣ - وأخبرت دورا ..

وبعد مضى مايزيد عن اسبوع من حياتى الجديدة .
كنت اعمل مجدا فى فترتى الصباح والمساء .. رتبت
أمرى لزيارة دورا ، التى لم تكن تعلم شيئا حتى الآن
عن خسارة عمى وفقدانها .. ولا عن عملى
الجديد الذى أقوم به مع الدكتور سترونج .

جاءت دورا الى حجرة الاستقبال . وكلبها جيب
يجرى ويقفز بجانبها . وسألتها :

- هل تعتقدين أن بإمكانك أن تكونى على علاقة
حب مع شحاذ .. ؟!

- ولماذا تسأل مثل هذا السؤال الغبى ٠٠ ؟!

- دورا ٠٠ لقد أصبحت شحاذا ٠٠ لقد أفلست !

- اذا واصلت الحديث هكذا فسوف أطلب من

جيب أن يعضك !

ولكن لأن منظرى كان جادا ، فقد تنبهت دورا ٠٠

ووضعت يدها على كتفى ، وبدأت فى البكاء ٠٠ وعندئذ

ركعت على ركبتى وطلبت منها أن تشفق بى ولا تحطم

قلبى ٠٠ وقلت لها مستفسرا عن مصير حبى :

- هل مازلت تحبيننى يادورا ٠٠ ؟ !

فقالته بسرعة :

- نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكن أرجوك لا ترهبنى بمثل

هذه الأخبار عن فقرك وعن عملك الشاق !

وسألتها :

- هل فى استطاعتى ان أقول شيئا ٠٠ ؟!

فاجابت فوراً :

— لا أرجوك .. لا تقل شيئاً عن

— اذن .. مادمتم تقبلين الزواج برجل فقير مثلى ، فسوف يكون من الأفضل أن تنظري الى الحياة بجدية .. وأن تتعلمي شيئاً يمكنك من فحص دفاتر حسابات والدك .. ان ذلك سيفيدك مستقبلاً !

فشرعت فى البكاء مرة أخرى .. ثم استدعت صديقتها جوليا ميلز ..

وعندما حضرت صديقتها طلبت منها أن تعاون دوراً فى قراءة وفهم أى كتاب فى طهى الطعام أو أى دفتر للحسابات ..

ووعدتنى صديقتها بأنها ستحاول ذلك .. ولكنها لم تفعل كثيراً لتحقيق هذا الطلب ..

٣٤ - مستر سبنلو يعرف العلاقة

وذات يوم بينما كنت متوجها الى مكتب مستر سبنلو ، وجدته جالسا يتألم من شدة الحزن ، لدرجة انه لم يرد على تحية الصباح التي المقيتها اليه ..

ونظر الى بيروود ، وسألني ان اصحبه الى حانة مجاورة . وضعنا معا الى الطابق العلوى بتلك الحانة وادخلنى الى حجرة ، ورأيت مس مارديستون جالسة وكأنها كانت تتوقع حضورنا ..

- لو سمحت .. أرجو أن تعرضنى على مستر كوبرفيلد ما تحتفظين به فى حقيبتك !

وأخرجت مس ماردستون آخر رسالة كنت قد أرسلتها الى دورا ٠٠ وقال مستر سبنلو :

— اعتقد يامستر كوبرفيلد أن هذه الرسالة مكتوبة بخطك ؟

قلت : نعم ٠٠ !

وعندما قدمت اليه مس ماردستون بعض الرسائل الأخرى قال :

— واعتقد أن هذه الرسائل الأخرى مكتوبة بخطك

قلت : نعم ٠٠ !

فأشار الى مس ماردستون وقال لها :

— استمرى يامس ماردستون فى حكايتك ٠٠

فقالت :

— لقد بدأت أشك فى وجود علاقة بين مستر كوبرفيلد ومس دورا سبنلو ٠٠ فبدأت أراقبهما فى حذر وعناية ٠٠ وبعد أن تناولنا الشاي بعد عصر يوم

أمس ، لاحظت أن الكلب جيب يلعب بورقة ، فأخذتها
منه وقرأتها فتبين لي أنها رسالة ٠٠ وذهبت الى مس
دورا سبنلو وطلبت منها أن تعطيني كل الرسائل
السابقة ٠٠ وهكذا حصلت على تلك الرسائل التي
أريتها لياها !

فالتفت الى مستر سبنلو وقال :

— هل لديك شيء تقوله تفسيراً لذلك ٠٠ ؟

فأجبت :

— ليس لدى ما أقول ٠٠ سوى أن اللوم يقع على
أنا وحدي !

— سألقى بكل هذه الرسائل الى نار المدفأة ٠٠
وعليك أن تعطيني جميع الرسائل التي أرسلتها لك ابنتي
لألقيها في النار ٠٠

ولم أوافق بالطبع . واستمر مستر سبنلو في
غضبه :

- ربما تعرف انى رجل غنى .. وأن ابنتى هى
اقرب اقربائى .. وانا لا أريد أن اغير فى ترتيبات
ثروتى .. وسأعطيك مهلة لمدة اسبوع واحد تفكر فيه
فيما قلته لك !

وقبل أن اعود الى المكتب . فكرت فى أن اتوجه
بسرعة الى بيت دورا .. وكتبت رسالة قصيرة الى
مستر سبنلو أن يترفق بابنته وأن يعاملها بلطف ..
وتركت الرسالة على المائدة .

وذهبت الى مس جوليا ميلز ، فوجدت أن لديها
فيضا من الكلمات المدهشة كانت تريد أن تصببه فى
مسامعى . فتركتها وانا أكثر تعاسة مما كنت عليه من
قبل .

وحكى لعمتى كل ما حدث .. ولكنها لم تعطينى
أى أمل .. فنمت على سريرى يائسا يتمزق قلبى
من شدة الحزن ..

وفى صباح يوم السبت ذهبت الى المكتب .. فرايت

جمعا من الناس يقفون حول الباب ٠٠ وعندما دخلت
رأيت الكاتب العجوز تيفى جالسا على مقعد غير
مقعده ، وقد امسك بقبعته فى يده ٠ وقال عندما رآنى :

- حدث شىء فظيع يامستر كوبرفيلد !

- ماذا ؟ ٠٠ ماذا حدث ؟ !

- مستر سبنلو ٠

- ماله ٠٠ ؟!

- مات ٠٠ لقد سقط من عربته

٣٥ - يورياه يقول اكثر من اللازم

ذهبت الى كانتربرى لزيارة مستر ويكفيلد فى مكتبه وبите ٠٠ وفى الحجرة الصغيرة الملحقة بالمكتب والتي كان يشغلها يورياه هيب من قبل ، رايت مستر ميكاوهر جالسا .

سالته :

- هاه ٠٠ هل احببت العمل بالقانون يامستر ميكاوهر ٠٠ ؟

اجاب :

- أنا رجل له قدرة كبيرة على التخيل .. ووجدت
أن القانون يتطلب قدرا كبيرا من الحقائق ..

- وهل يعطيك الآن اجرا طيبا .. ؟

- لقد سدد كل ديونى .. كلها .. !

- لم اكن اتوقع انه اصبح حرا فى التصرف فى

النقود الى مثل هذه الدرجة .. هل ترى مستر ويكفيلد
كثيرا .. ؟

- لا .. ليس كثيرا .. انه رجل ذو سمعة
كبيرة .. ولكنه لم يعد ذا فائدة !

- اعتقد أن شريكه هو الذى يحاول أن يجعله بلا
فائدة .. !

- يا عزيزى كوبرفيلد .. انى هنا مجرد موظف
موثوق فيه الى حد كبير .. وهناك بعض الأمور
لا أستطيع أن اتحدث فيها بحرية .

لقد تغير مستر ميكاوهر .. اصبح هناك حاجز

يفصل بينى وبينه .. ولم نعد صديقين مثلما كنا فى
الماضى ..

كانت أجنس جالسة فى حجرتها . فصحت بها :

- أجنس يا عزيزتى .. انى أشعر بالاحتياج اليك
فى الفترة الأخيرة .. كنت أفكر فيك لأنى فى حاجة
الى نصيحتك وتشجيعك .. عندما تكونين معى ، أشعر
بان احوالى تتحسن الى الأفضل .. فما هو السر فى
ذلك يا أجنس .. ان ثقتى كلها فيك انت وحدك !

فقالت برقة :

- ولكن لايجب ان تضع هذه الثقة فى انا ..
يجب ان تضع ثقتك فى دورا ..

وفى المساء جلسنا لنتناول طعام العشاء .. وشرب
مستر ويكفيلد نخب عمتى .. ونخب مستر ديك . ثم
وقف يورياه وقال :

- انى اشرب نخب أجمل فتاة على ظهر الأرض !



یوریاہ ہیپ و آجنس .

كان مستر ويكفيلد يمسك فى يده كأسا فارغه ،
ورفع عينيه الى صورة زوجته السابقة أم أجنسر ، ثم
وضع يده على رأسه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

– انى أحقر من أن أطلب شرب نخبها ٠٠ ولكنى
معجب بها ٠٠ وأحبها !

وأخذ مستر ويكفيلد يعصر يديه فى بعضهما معبرا
عن شدة الألم الذى يعتريه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

– أن تكون أبا لأجنس يا ويكفيلد ، فان ذلك شئ
يدعو للفخر ٠٠ أما أن تكون زوجها ٠٠٠٠٠٠

وهنا أطلق مستر ويكفيلد صرخة ألم وتوجع لم
أسمع مثلها فى حياتى كلها ٠٠ فصاح به يورياه :

– ماذا فى الأمر ٠٠ هل جنتت ؟ !

ووضعت ذراعى حول مستر ويكفيلد محاولا
تهديته ٠٠ ويبدو أن الرجل قد عانى من لحظة جنون
عابرة ٠٠ ولكنه أخذ يستعيد هدوءه رويدا رويدا ٠٠ ثم
قال فجأة وهو يشير الى يورياه :

- انظر اليه ا . . بسبب هذا الرجل فقدت اسمى
خطوة خطوة . . وفقدت هدوئى وسلامى . . وفقدت
مكتبى وبيتى . .

فصاح به يورياه :

- لا تكن غبيا هكذا يامستر ويكفيلد . . لم يحدث
شئ فيه اى ضرر . .

وواصل مستر ويكفيلد كلامه :

- ظننت انى استطيع أن أثق به لأن مصلحته كانت
تقتضى منه أن يكون صادقا معى ومخلصا لى . . ولكن
انظر كيف أصبح !

فقال يورياه مهبدا :

- كوبرفيلد . . من الأفضل أن تسكته . . وأن
تمنعه من أن يقول اشياء سيندم عليها فيما بعد اشد
الندم !

فصرخ مستر ويكفيلد :

- ساقول اى شىء يعجبنى .. لماذا لم يعد فى
مقدورى ان اقول ما اريد .. ؟!

وجه يورياه حديقته الى قائلا :

- كوبرفيلد .. انى احذرك .. اذا لم تمنعه من
الاستمرار فى الكلام فلن تكون فى مثل هذه الحالة
صديقه الذى يحرص على مصالحه .. انا وانت نعرف
مانع صرف .. اليس كذلك ؟ .. الا ترى انى مازلت
متواضعا .. واذا كنت قد قلت شيئا اكثر من اللازم ،
فانا آسف لذلك .

وقال مستر ويكفيلد فى صوت باك :

- اوه .. تروتوود .. تروتوود .. تذكر كيف
انحدر حالى منذ ان رايتنى اول مرة فى بيتى هذا ..
لقد هدى الضعف .. واصبحت لا أستطيع التذكر ..
وتحول حزنى الى مرض .. لقد احببت ابنتى لانى
كنت اتذكر فيها وجه امها .. واصبحت الآن ضعيفا
حتى فى حزنى وحبى .. بل ضعيفا حتى فى طريقة

مروبي من الجوانب المظلمة في هذا الحزن وهذا
الحب .. انظر كيف تهدمت واصبحت حطاما .. !

والقى بنفسه على كرسیه وانفجر باكيا ..

كان الظلام قد انسدل حين اوقفت عربية امام
الباب وهممت بركوبها . ولكن يورياه هيب جاء مسرعا
ووقف بجانب العربية وقال بصوت منخفض يبدو مثل
صوت الضفدعة :

- كوبرفيلد .. اعتقد انه سيسرك ان تسمع اننا
قد سوينا امورنا .. لقد ذهبت اليه في غرفته ولم تعد
بيننى وبينه الآن أية مشاكل .. وربما انت نفسك قد
تعرضت في مرة لما تعرضت انا له .. اعنى ان تقطف
من الشجرة تفاحة لم تنضج بعد .. ولكن الوقت سيأتى
حتما .. وانا استطيع ان انتظر .. !

٣٦ - دورا . . وكتاب الطهى

وكنت أتردد كثيرا على دورا . . ولكن كان هناك
شئ يقلقنى باستمرار . . وهو أن دورا تحب أن يعاملها
الجميع كما لو كانت لعبة جميلة . . كانت عمتى مثلا تسميها
« الزهرة الصغيرة » . . وكانت عمتها مس لافينيا تدللها
أكثر وأكثر . . وصممت على مناقشة هذا الموضوع
مع دورا . . فقلت لها :

- اعتقد أن من الأفضل أن تطلبى منهم أن يغيروا
طريقة معاملتهم هذه . . لأنك تدركين يا عزيزتى أنك
لست طفلة صغيرة تحتاج لكل هذا القدر من التدليل
والدلع . .

فقلت :

- انظر .. ما أنت ذا تريد أن تغضبني وتغضب
منى .. انهم يعاملوننى بمنتهى اللطف والعطف ..
وأنا سعيدة بهذه المعاملة .

قلت محاولا اقناعها :

- ولكن يمكنك أن تظلى سعيدة عندما يعاملونك
بطريقة أكثر جدية وواقعية ..

فقلت برقة شديدة :

- لا تقسو على هكذا .. يا عزيزى !

وطلبت منى أن أحضر لها كتابا يعلمها فن طهى
الطعام .. فسررت كثيرا بهذا الطلب .. واحضرت لها
الكتاب المطلوب ، وكتابا آخر لتعليم الحساب .

ولكن كتاب الطهى سبب لها صداعا .. أما كتاب
الحساب فقد جعلها تبكى .. وصممت على أن أقوم
بتعليمها بنفسى ..

قلت لها :

- والآن .. افترضى يا عزيزتى اننا قد تزوجنا ..

وانك ذهبت الى الجزار لتشتري لى قطعة من اللحم
فهل تعرفين كيف تشتريها ؟

فقالت :

- ولماذا أعرف كيف اشترىها مادام الجزار يعرف
كيف يبيعها ؟

- اذن .. لنفرض مثلا أنى طلبت منك أن تطهى
لنا طبقا من « اليخنسى الايرلندى » (١) .. فماذا
تفعلن ؟

فقالت على الفور :

- أنادى على الخادمة . وأطلب منها أن تعد لنا
هذا الطبق .. !

وهكذا لم يعد كتاب الطهى ذا نفع .. ووضعته
فى أحد الأركان الجانبية بالحجرة ، ليقف أو ليجلس
عليه كلبها المدلل ..

(١) طبخة ايرلندية شهيرة وسهلة ، تتكون من بعض قطع
اللحم الصغيرة تسلق ببطء مع بعض الخضراوات .

٣٧ - الزوجة الطفلة

تزوجنا ..

وعاشت معنا فى البيت خادمة تسمى مارى أن ..
وقلت لدورا ذات يوم :

- عزيزتى .. يبدو أن مارى أن ليس لديها أية
فكرة عن الوقت .. فالطعام يجب أن يقدم فى الساعة
الرابعة .. ونحن الآن فى الساعة الخامسة

فقلت ببساطة :

- ربما تكون الساعة هى المخطئة فى تحديد

الوقت .. وأنا لا أجسر على الكلام معها فى مثل ذلك ..
انى أخاف منها ..

**فقلت بعد أن فاض بى وأنا أحاول فى نفس الوقت
أن أمسك بأعصابى :**

– بالأمس اضطررت الى الخروج قبل أن يتم طهى
لعام .. وأول أمس لم يكن اللحم مطبوخا بطريقة
سليمة .. أما اليوم فليس هناك طعام على الاطلاق ..
انى لا ألومك فى ذلك .. ولكن الحيناة بمثل هذه
الطريقة غير مريحة !

فقالت بطريقة هى خليط من الغضب والدلع :

– انت ولد قاس .. هل تريد ان تقول انى زوجة
سيئة ؟ !

أما المشكلة الحقيقية الكبرى فكانت تتمثل فى
الخادومات اللاتى أصبحنا نستخدمهن فى البيت واحدة
وراء أخرى .. فبعد أن تركتنا مارى أن لاحظت أن
بعض الملاحق وبعض النقود قد اختفت . ثم استخدمنا

بعدها مسز كيدجربرى التى كانت عجوزا لاتقوى على
أداء أى عمل ٠٠ ثم خادمة أخرى كانت تحطم كل
شئ ٠٠ ثم عددا من الخادومات اللاتى لايعرفن شيئا
عن واجباتهن ٠٠ وأخيرا استخدمنا فتاة شابة اخذت
قبة دورا وارادتتها حين ذهبت لمقابلة صديقها !

لقد أصبح الجميع يخدعوننا بسهولة ٠٠ حتى
أصحاب المتاجر أصبحوا لايعطوننا الا أسوأ بضائعهم .
فجميع ما اشتريناه من أسماك كانت فاسدة ٠٠ وإذا
اشترينا لحما فانه لا يؤكل بعد طهيه ٠٠ حتى الخبز
الذى كنا نشتره اما أن يكون فاسدا أو مبلولا ٠٠ وحتى
النساء اللاتى كنا نحضرهن لغسل ملابسنا كن يبعن هذه
الملابس بعد غسلها ٠٠ وكانت الخادومات تشترين
بعض حاجياتهن ويطلبن منا أن ندفع ثمنها ٠٠
وجاء ضيف صديق ليزورنا فقدمنا اليه طعاما لا يؤكل !
وبعد انصراف الضيف ٠٠ جاءت دورا وجلست
بجانبى وقالت :

- انى أسفة ياعزيزى لما حدث ٠٠ كان من

الافضل قبل ان اتزوج بك ، ان اعيش مع اجنس لمدة
عام كامل حتى اتعلم منها كل شيء . . . هل تحب ان
تطلق على اسما افضل ان تدعوني به . . . ؟ !

سألتها :

— ما هو . . . ؟

— ادعوني « الزوجة الطفلة » . . . فكلما نويت ان
تغضب منى . . . فقل فى نفسك : انها مجرد زوجة
طفلة !

٣٨ - محاولة التأثير على عقل دورا

مر الآن نحو عام ونصف عام على زواجنا . وبعد
عديد من المحاولات توقفنا تماما عن ادارة المنزل .
لقد أصبح المنزل يدير نفسه بنفسه . وأصبح لدينا
الآن خادم وطباخة . ويبدو ان هذا الخادم لم يكن
لديه شيء يشغله سوى المشاجرة مع الطباخة طول
الوقت .

وسرق الخادم ساعة دورا الذهبية وباعها .
فقبض عليه ووضع في السجن . وأمام القاضى اعترف
بالأشياء الأخرى التى سرقها منا . كما اعترف أيضا

بالأشياء التي سرقتها الطباخة .. وشعرت بالخجل
من نفسي بعد اكتشافى أنى سرقت من جانب هؤلاء الذين
كنت أدفع لهم أجرهم كاملا ..

وشجعتنى جميع هذه الحوادث على أن أفتح دورا
فى هذا الموضوع بطريقة جادة وحازمة . فقلت لها فى
احدى الأمسيات :

- يا حبسى .. يبدو أن النقص فى قدرتنا على
ادارة المنزل لايتسبب فى الحاق الضرر بنا وحدنا ..
بل انه يلحق الضرر بالآخرين أيضا .. يبدو اننا
أصبحنا نشجع الناس على أن يصبحوا لصروا ..
لقد أصبحت أشعر بأن هؤلاء الناس يفعلون مثل هذه
الأشياء السيئة لأننا لسنا حازمين معهم بشكل
كاف

فصاحت دورا قائلة :

- اوه .. أوه .. ما هذا الذى تقول .. هل رأيتنى
فى مرة وأنا أسرق ساعات ذهبية ؟ !

وانخرطت فى البكاء . فقلت لها :

- دورا يا حبيبى .. أرجوك أن تنصتى لما أقول ..
يجب علينا أن نتعلم كيفية التعامل مع هؤلاء الناس الذين
نستخدمهم .. انى أخشى أن أقول أننا نحن الذين
نعطيهم الفرصة ليفعلوا مثل هذه الأشياء السيئة ..
انى قلق من أجل ذلك ..

فواصلت بكاءها وهى تقول فى نفس الوقت :

- اذا كنت لا تشعر بالسعادة فلماذا تزوجتنى
اذن .. لماذا لاترسلنى لأعيش مع عمى فى بوتنى ..
أو لأعيش مع صديقتى جوليا ميلز فى الهند ؟!

وأصبح الكلام معها بلا فائدة ..

ومع ذلك فلم أفقد الأمل .. وصممت على أن أقوم
بنفسى بتطويع عقل دورا ليصبح أكثر جدية .. وبدأت
هذه المحاولة على الفور ..

قرأت لها بعض أعمال شيكسبير .. وقرأت لها
بعض نصوص المعرفة المفيدة .. ولكنها بدأت تخمن

فى انى انما افعل ذلك بقصد التأثير على عقلها ، فبدأت
تخشى مثل هذه الموضوعات .. وازدادت كراهيتها
لشيكسبير !

وقضيت فى مثل هذه المحاولات عدة شهور ..
ولكن يبدو أن تطويع عقل دورا لم يحقق أى قدر من
النجاح .. ومع ذلك فقد تخيلت انى قد حققت بعض
النجاح فى ذلك ، فاشترت لها حلية ثمينة على شكل
حلق لأذنيها وقلت لها وانا أقدم هديتى :

– انى أخشى اننا لم نكن متجاوبين مع بعضنا
طوال الأشهر الماضية .. وأخشى اننا لم نقضى سويا
أوقاتا طيبة .. والحقيقة يادورا .. انى كنت أحاول
أن أكون حكيما ..

فقلت :

– وكنت أحاول فى الوقت نفسه ان تجعلنى
حكيمة اليس كذلك ؟ !

فاومات براسى . وقالت ببساطة :

ـ لا فائدة فى ذلك ٠٠ وعليك ان تطلق على الاسم
الذى احبه : الزوجة الطفلة !

وهكذا اصبحت على يقين من أننا غير متوائمين
عقلا أو أهدافا ٠٠ وبدلاً من محاولاتى فى أن أجعل
دورا تناسبنى ٠٠ بدأت محاولاتى فى أن أجعل نفسى
مناسبا لدورا ٠٠ ولهذا فقد بدأت أشعر ببعض
السعادة .

وما أن انقضى العام الثانى على زواجنا ، بدأت
ألاحظ أن دورا أصبحت معتلة من الناحية الصحية ٠٠
وكنت أمل فى أن نرزق بطفل ربما سيجعلها تنظر الى
الحياة نظرة أكثر جدية .

ولكن هذا الأمل لم يتحقق وازدادت صحتها
سوءا ٠٠ وكنت قد اعتدت فى الأيام الاخيرة أن أحمل
دورا على ذراعى وانزل بها الى الطابق السفلى كل
صباح ٠٠ ثم أحملها مرة اخرى وأصعد بها الى الطابق
العلوى كل مساء ٠٠ ولاحظت انها كانت تزداد خفة
فى الوزن يوما بعد يوم .

وكانت عملى تقول لها كل ليلة :

- تصبى على خير .. ايتها الزهرة الصغيرة !

ولكن مرض الزهرة الصغيرة أخذ يشتد اسبوعا
وراء اسبوع .. حتى كلبها جيب أصبح يبدو مثل كلب
عجوز محطم ..

رقدت دورا على السرير .. جميلة كما كانت تبدو
دائما .. وعلت وجهها ابتسامة رائعة طيبة .. ولم
تصدر منها أية شكوى .. ولم تطلب منا أى طلب ..
وقالت لنا انها مرتاحة لأننا كنا جميعا طيبين معها ..
جلست بجوار سريرها فى الضوء الخافت ..
وكان وجه زوجتى الطفلة متجهها نحوى .. وكانت
أصابعها ترقد ساكنة فى يدي .. وماتت !!

الجزء السادس

التسوية ..

٣٩ - مستر ميكاوبر يعترف

استلمت رسالة غريبة من مستر ميكاوبر يقول فيها :

« انتهى سلامي .. وتحطمت قدرتي على المتعة
والسرور .. وذبلت الزهرة ! »

قرأت الرسالة عدة مرات محاولا فهمها . ولكني
لم أفهم منها شيئا ، برغم يقيني أنها أكثر أهمية من
جميع الرسائل التي أرسلها لي مستر ميكاوبر من
قبل .

وبعد عدة دقائق استلمت رسالة اخرى من مسز
ميكاور تقول فيها :

« لم يعد مستر ميكاور كما كان من قبل . . انه
يقول انه قد باع نفسه للشيطان . . ويقول انه يريد
الانفصال عنى . . اعتقد ان هناك سسرا وراء هذا
السلوك الغريب . . أرجوك أن تلقاه وتتحدث معه ! » .

وعلى الفور أرسلت رسالة الى مسز ميكاور
لأطمئنها ، كما رتببت موعدا للقاء مستر ميكاور فى
بيت عمى . .

وعندما وصل لاحظت انه فى حالة معنوية سيئة .
فقلت له مواسيا :

– أرجو ألا تكون قد بدأت تكره الأعمال القانونية .

فلم يجب بشىء وظل صامتا . فسأله :

– كيف حال صديقنا يورياه هيب . . ؟

فأجاب :

– ان كنت نسال عنه باعتباره صديقا لك فأنا أسف



هل أحببت الأعمال القانونية يا مستر ميكاوهر ؟ ٢٧٩

لذلك .. أما اذا كنت تسأل عنه باعتباره صديقى فهذا
شئ مضحك .. انى لا أريد ان أتحدث عن هذا الرجل .
ان موتى وحده هو الخلاص من كل شئ !

فقالت عمتى :

- أرجو أن تكون زوجتك وابناؤك فى حالة طيبة ..
- انهم جميعا بخير ياسيدتى ! .. ولكنى أنا
وحدى - لست بخير .. وأشعر باليأس ..

فقلت اطمئننه وأحثه على الافاضة بما صدره :

- تكلم يامستر ميكاوبر .. انك الآن مع اصدقاء
صادقين .. ماذا فى الأمر ؟ !

وانفجر مستر ميكاوبر فى الكلام :

- ماذا فى الأمر ؟ .. ان الشيطان هو الأمر ..
ان الاعمال السيئة الدنيئة هى الامر .. ان السرقة
والفسخ والخديعة هى الأمر .. ان السبب المباشر فى
كل هذه الأشياء المنحطة هو يورياه هيب .. الآن قد

انتهى الصراع من أجل الحياة .. ولن أعيش مثل هذه
الحياة مرة أخرى أريد أن أستعيد حياتى الطيبة مع
زوجتى ومع أسرتى .. وقد أليت على نفسى أن أحطم
هذا المخلوق المدعو هيب الى قطع صغيرة .. سأدمره
تدميرا .. وموعدا فى مثل هذا الوقت من الاسبوع
القادم فى الفندق الصغير بكانتربرى .. اخبر الجميع
بذلك .. سنلتقى هناك كلنا .. سأنصرف الآن .. والى
اللقاء .. !!

وخرج من البيت وهو يجرى .. انى لم أر فى
حياتى اضطرابا مثل الاضطراب الذى كان يعانىة هذا
الرجل عندما كان يلقي على مسامعنا هذا الكلام
الغريب ..

وبعد دقائق قليلة وصلتني منه رسالة يبدو انه
كتبها فى الحانة المجاورة . يقول فيها :

• متيذى •

انى اعتذر عما بدر منى من اضطراب شديد ..

ولعللى اكون قد اوضحت تماما أن موعدنا فى الاسبوع
القادم فى « حانة السفينة » فى كانتربرى ..

ويلكنز ميكاوبر .

انقضى اسبوع وحل موعد اللقاء .. فذهبت أنا
وعمتى ومستر ديك الى « حانة السفينة » فى
كانتربرى .. واستلمنا رسالة كانت فى انتظارنا يقول
فيها مستر ميكاوبر :

« انتظرونى فى الساعة التاسعة والنصف من
صباح الغد فى مكتب « ويكفيلد وهيب » ..

وذهبنا الى المكتب فى الموعد المحدد .. ووجدنا
مستر ميكاوبر جالسا على مكتبه ويكتب .. او ربما
يتظاهر بأنه يكتب شيئا .. فقلت له :

- كيف حالك يامستر ميكاوبر .. ؟

فقال بصوت حزين :

- مستر كوبرفيلد .. ان مستر ويكفيلد يرقـد

مريضا على السرير . . ولكن مس آجنس ويكفيلد
مسرورة لرؤية اصدقائها القدامى . .

وفتح بابا يؤدى الى غرفة الاستقبال . وقال بطريقة
جادة :

- مس تروتوود . . مسستر دافيد كوبرفيلد . .
مسستر ديك . .

ولاحظت على الفور أن زيارتنا المفاجئة هذه قد
أدهشت يورياه هيب كثيرا . . ولكنه سرعان ما استعاد
قدرته على التظاهر بالتواضع كالمعتاد . . وقال بطريقة
المعروفة :

- هذا سرور لم أكن اتوقعه اطلاقا . . لقد تغيرت
الأحوال فى هذا المكتب يامس تروتوود منذ زيارتك
السابقة . . حين كنت مجرد كاتب متواضع . .

وجاءت آجنس . . وكانت تبدو قلقة ومتعبة . .
وظل يورياه هيب يتابعها بعينيه وهى ترحب بنا . . ثم
نظر الى مسستر ميكاوهر وقال له :

– لماذا تنتظر هنا .. هيا اخرج الى مكتبك ..
الا تسمعنى .. قلت لك اخرج من هنا ..

فقال مستر ميكاوير :

– حاضر !

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. فقال يورياه بحدة :

– قلت لك اخرج .. ماذا تريد هنا ؟

فقال مستر ميكاوير بكل ثبات :

– اريد أن اخبرهم بأنه اذا كان هناك وغد واحد
فى هذا العالم .. فان اسم هذا الوجد هو يورياه
هيب !!

وغاص يورياه فى مقعده كما لو كان قد تلقى ضربة
قوية على راسه .. وشحب لون وجهه . ولكنه تماسك
وقال :

– هى مؤامرة اذن ياكوبرفيلد .. لقد رتبت أمر
هذا اللقاء بعد ان البت على موظف صغير عندى ..

ولكنى احذرك ياكوبرفيلد .. ان هذا اللقاء سـيكون
بلا طائل .. انذا نفهم بعضنا جيدا .. ونكره بعضنا
تماما .. والآن .. انصرف ياميكابوير .. وسنتحدث
فى ذلك فيما بعد !

وفى هذه اللحظة وصل صديقى ترادلز وكان
يصطحب معه مسز هيب . فسأله يورياه :
- من انت .. ؟

فاجاب ترادلز :

- انا صديق لمستر ويكفيلد .. وعندى السلطة
لكى اتحدث باسمه !

وهنا تدخلت مسز هيب قائلة :

- يورياه !

فاجاب يورياه نداء امه بصوت يخلو من الالـب :

- اسـكتى !

وفى الحال وقف مستر ميكابوير ، وامسك فى يده
ورقة كبيرة الحجم ، وبدأ يقرأ مافىها :

« جميع اعمال مكتب (ويكفيلد وهيب) يقوم بها
هيب ٠٠ وهيب هذا مجرد لص ٠٠٠٠ »

اندفع يورياه هيب نحوه مسرعا ، وحاول ان يخطف
منه الورقة التى كان يقرأها ٠٠ ولكن مستر ميكاوهر
ضربه على يده ٠٠ فسقطت يده الى جانبه كما لو كانت
مكسورة ٠٠ وصاح به هيب :

— فليأخذك الشيطان !

فرد عليه مستر ميكاوهر قائلا :

— اذا اقتربت منى مرة اخرى فسوف أكسر عنقك !

وعاود مستر ميكاوهر القراءة :

« كان يدفع لى اجرا ثابتا عبارة عن اثنين وعشرين
شيلنا كل اسبوع ٠٠ اما بقية الأجر فكان يحدده حسب
ما أقوم به من عمل ٠٠ او بمعنى آخر حسب ما أقوم
به من اعمال سيئة خاطئة كان يحتاجها ويأمرنى بأدائها
لخدمة اغراضه فى الغش والخداع ٠٠ وكان يقرضنى
النقود حتى أصبحت واقعا تماما تحت سيطرته ٠ وقد

وجدت أن جميع الخدمات التي يطلبها هيب منى هسى
الاستمرار فى خداع مستر ويكفيلد بكل طريقة .

وتوقف مستر ميكاوربر عن القراءة لحظة قصيرة
ليرى أثر ما قاله على السامعين . ثم استمر بعد ذلك
فى القراءة :

... كان يغش مستر ويكفيلد بكل الطرق الممكنة
فى نفس الوقت الذى كان يدعى فيه أن مستر ويكفيلد
هو صاحب الفضل الأول عليه ويتظاهر بأنه أعز صديق
له . وأخيرا تغير قلبى واستيقظ ضميرى لأجل خاطر
مس ويكفيلد . وبدأت أراقب مايفعله هيب بطريقة
سرية . وعرفت أن هيب كان يحصل على توقيع مستر
ويكفيلد على بعض اوراق والمستندات المهمة ، مدعيا
أنها أوراق عديمة الأهمية . بل لقد جعل مستر ويكفيلد
يسحب مبلغ ألف ومائتى جنيه من حسابات بعض
العملاء المودعة عنده بعد ان ادعى أنها مصاريف
انفقت فى بعض الأغراض . وجعل الأمر يبدو كما
لو كان مستر ويكفيلد قد سحب هذا المبلغ لنفسه .

وبهذه الطريقة الشيطانية سيطر تماما على مستر
ويكفيلد وجعله طيعا يقبل كل شيء يراه . . .

وهب يورياه هيب موجهها حديثه الى :

– انك لن تستطيع اثبات ذلك يا كوبرفيلد !

واستمر مستر ميكاوير فى القراءة :

» . . . كنت أعيش فى نفس المسكن الذى كان يعيش
فيه هيب وتركه . . . وهناك عثرت على بقايا دفتر صغير
كان قد أحرقه ولكن بقيت منه بعض اجزاء لم تصل
اليها النار . . .

وهنا صاحت مسز هيب مولولة :

– يورياه . . . يورياه . . . كن متواضعا . . . وحاول
ان تصل الى تسوية هذا الأمر معهم !

فصاح بها يورياه :

– أمى . . . هل يمكنك ان تلزمى الصمت ؟ !

واستمر مستر ميكاوير فى القراءة :

« ٠٠٠ وعرفت أيضا أن هيب كان فى أحيان كثيرة يقوم بتزوير وتغيير بعض البيانات المدونة فى دفاتر الحسابات ٠٠ وعرفت كذلك انه جعل مستر ويكفيلد يوقع على مستند يثبت زورا انه اقترض مبلغا كبيرا من هيب ، فى حين أن مستر ويكفيلد لم يحصل على أى قرض منه ٠٠ هذا بالاضافة بأن لدى ورقة تثبت محاولات هيب فى تقليد وتزوير التوقيع الخاص بمستر ويكفيلد » .

قام هيب ، وأخذ مفاتيحه . وفتح دولابا معينا ، نظر بداخله ، ثم أغلقه ، واتجه نحونا مرة أخرى وهو يشعر بذل وانكسار ٠٠ فقالت امه تستعطفه وتحاول اقناعه :

— يورياه ٠٠ كن متواضعا وقم بتسوية الأمر معهم ٠٠ لقد اخبرنى مستر ترادلز بأنه عرف جميع هذه الاشياء ولديه كل المستندات ٠٠ ووعدته بأنك ستكون متواضعا وسترد اليهم اموالهم ٠٠

واستمر مستر ميكاوهر فى القراءة :

« ٠٠٠ واستطيع أن أثبت أن هيب قد أجبر مستر

ويكفيلد حتى يصبح شريكا له في المكتب .. ووعدده بأن
يدفع له مبلغا معيناً كل عام .. ثم أخذ يقرض مستر
ويكفيلد بعض النقود .. وهذه النقود هي نقود مستر
ويكفيلد بكل تأكيد .. وبهذه الطريقة وضع مستر
ويكفيلد تحت سيطرته ..

وأنا أتعهد بأن أثبت صدق جميع هذه الحقائق ..
وبعد هذا فإن على أنا وأسرتي التعيسة أن نخفى من
على وجه هذه الأرض التي فشلنا فيها ، ولم نستطع أن
نخدم أي هدف مفيد ! » .

وبعد أن انتهى مستر ميكابر من القراءة ، طوى
الورقة التي يقرأ منها وأعطاهما لعمتي .

وكانت هناك خزانة حديدية ضخمة قابعة في ركن
الغرفة ، فقام يورياه هيب وفتحها وفوجئ بأنها خالية
تماماً فصاح :

— أين دفاتر الحسابات .. لابد أن أحد اللصوص
قد سرقها ..

فقال مستر ميكاوير :

- لقد اخذتها انا .. !

وقال ترادلز :

- وهي عندي انا .. !

**وفجأة هبت عمتي واقفة ، واتجهت نحو يورياه ،
وامسكت بتلابيبه ، وصاحت في وجهه :**

**- هل تعرف ماذا اريد ؟ .. اريد نقودي .. اريد
ان تعيد الى اموالي !**

ثم التفتت عمتي نحو اجنس وقالت :

**- اجنس يا عزيزتي .. عندما خدعت وقيل لي اني
فقدت اموالي بسبب يرجع الى مستر ويكفيلد ، فاني
لم اقل شيئا ولا نطقت بكلمة .. ولكن الآن عرفنا ان
هذا الشخص هو الذي استولى على اموالي .. وسوف
استردها منه !**

وارتعى يورياه على مقعده ، وقال مستسلما :

– وماذا تريدون أن أفعل ؟ !

فقال ترادلز :

– ستوقع على مستند بالتنازل عن كل شيء لى ..
واذا لم توقع على هذا المستند ، فسوف يكون مصيرك
الى السجن .

وهنا قامت مسز هيب باستعطاف أجنس لكى
تساعدهما وأن تكون رحيمة بهما . فقال يورياه :
– أماه .. توقفى عن هذا الضجيج .. !

ثم التفت الى ترادلز وقال :

– أين هو المستند ؟ .. سأوقع عليه .. !!

اعترفنا جميعا بفضل مستر ميكاوهر وصنيعه
الجميل الرائع .. وكنا شغوفين بأن نوجه الشكر اليه ..
ولذلك فقد ذهبنا معه الى بيته .. وكان مدخل البيت
الذى يطل على الشارع هو نفسه المدخل الى غرفة
الجلوس ..

اندفع مستر ميكابور الى داخل البيت ، وارتمى
بين ذراعى زوجته وهو يحتضنها بقوة ويصيح :
- ايما .. لقد زالت الغمامة .. وارتاح عقلى
وضميرى .. والآن مرحبا بالجوع .. ومرحبا بالثياب
الرثة واللاهيل .. ان ثقتنا فى بعضنا ستستمر
الى النهاية !!

وقالت عمى :

- مستر ميكابور .. انى اتعجب لماذا لاترك
انجلترا وتذهب الى ارض جديدة اخرى .. الى استراليا
مثلا .. ؟ !

فقال مستر ميكابور :

- منذ مدة طويلة وأنا أحلم بذلك (وأنا على يقين
من أن مستر ميكابور لم يفكر فى مثل هذا الموضوع
من قبل) .. ولكن هناك بعض الصعوبات .. !

فقالت عمى :

- النقود ؟ .. لقد أديت لنا خدمة عظيمة .. ومن
واجبنا أن نتكفل بالنقود المطلوبة .. !

– انى لا استطيع أن آخذ هذه النقود كهبة ..
ولكن يمكنكم أن تقرضوني اياها ! ..

– طبعاً .. طبعاً ..

وهنا تساءلت مسز ميكاوير :

– فى بلد مثل استراليا .. هل يستطيع رجل له
مزايا وقدرات مستر ميكاوير أن يجد فرصة للنهوض
بمستواه ومستوانا .. انى لا أتوقع أن يصبح حاكماً
لاستراليا .. ولكنى اتساءل هل يجد الفرص التى
تناسب مواهبه .. !؟

فقالت عمتى :

– ليس هناك مكان أفضل من استراليا .. فى
توفير فرص النجاح أمام مستر ميكاوير ! ..

وخرجنا .. وخرج مستر ميكاوير معنا .. وبينما
كنا نجتاز ساحة السوق .. لاحظت أن مستر ميكاوير
قد تقمص شخصية مزارع استرالى .. وأخذ يتفحص
قطعان الأغنام بعين خبيرة ! ..

٤٠ - نهاية هيب

ذهبنا أنا وعمتى وأجنس الى كانتربرى لنعرف
نتائج التصفية التى قام بها ترادلز لأعمال مكتب
« ويكفيلد وهيب » . وكانت عمتى تبدو فى حالة غير
طيبة . . . كانت شاحبة الوجه الذى ظهرت فيه خطوط
حزن عميقة . . . وكانت تبكى فى بعض الاحيان ،
وتحاول أن تخفى دموعها بيدها . . .

وعندما اجتمعنا مع ترادلز . قال بجدية :

- لقد تحسنت احوال مستر ويكفيلد . . . واصبح
الآن قادرا على المساعدة . . . بل ساعدنا بالفعل فى

ايضاح الكثير من البيانات المدونة بالدفاتر ٠٠ وقد
انتهينا الآن من وضع كل شيء فى نصابه السليم ٠٠
وخلصنا الى كل النتائج ٠٠ فبالنسبة الى موقف مستر
ويكفيلد فهو غير مدين لأحد ٠٠ وتبقت له بضع مئات
من الجنيهات يستطيع أن يواصل بها حياته ٠٠ أمّا
بالنسبة لمس تروتوود ٠٠٠٠ فقطاعته عمّتى :

— لو كنت قد خسرت جميع أموالى ، فانى أستطيع
أن أتحمّل ذلك ٠٠ واذا حدث العكس فسوف أكون
مسرورة باستردادها ٠٠

— لم نجد سوى خمسة ٠٠٠٠ ٠٠٠٠

— خمسة جنيهات ٠٠ أم خمسة آلاف ٠٠ ؟

فقال ترادلز :

— خمسة آلاف جنيه ٠٠

فقالت عمّتى فرحة :

— هى كل النقود اذن ٠٠

ثم التفتت إلينا وقالت :

- عندما أبلغت بانى قد خسرت كل أموالى
ظننت فى البداية ان مستر ويكفيلد قد استخدمها
وخسرها .. ثم خدعنى يورياه هيب وأرسل الى رسالة
يقول فيها أن مستر ويكفيلد لص .. وانه هو الذى
استولى على أموالى .. فذهبت اليه وزرته ذات
صباح .. واحرقت رسالته أمامه .. وقلت له اذا كان
بوسعه أن يضع الأمور فى نصابها السليم فليفعل ،
والا فعليه أن يلزم الصمت !

وبعد لحظة ، تساءلت عمى :

- وماذا حصل بالنسبة لهيب ..

- لا أعرف .. فقد اختفى ..

- والآن .. ماذا سنفعل بالنسبة لمستر

ميكابور ؟ ؟ !

فقال ترادلز :

- فى الحقيقة ان مستر ميكابور يستحق الكثير

من الشكر والثناء .. لقد كان فى وسعه أن يحصل
من يورياه ميب على مبلغ كبير من المال مقابل سكوته ..
وقد وجدت انه مدين بمبلغ مائة وثلاثة جنيهات وخمسة
شلنات ...

فقات عمتى موجهة حديثها الى اجنس :

— اجنس يا عزيزتى .. ماذا سنعطيه ؟ .. هل
نعطيه خمسمائة جنيه .. ؟ !

فقال ترادلز :

— اعتقد أن من الأفضل أن نشتري له تذاكر السفر
الى استراليا بالاضافة الى مبلغ صغير لتغطية نفقاته ..
واستدعينا مستر ومسز ميكاوبر الى الحجرة ..
وأخبرتهما عمتى بما قررناه ..

وقلت لمستر ميكاوبر :

— والآن أريد أن انصحك .. لاتدع أحدا يقرضك
نقودا مرة أخرى !

فقال مستر ميكاوير :

- أبدا .. لن أفعل ذلك .. وسوف أكتب هذا
القسم على صفحة بيضاء فى حياتى المستقبلية ..
وسأجعل ابنى ويلكينز يتذكر دائما أن من الأفضل له
أن يضع يده فى النار ، ولا يمدّها الى هذه المخلوقات ..
هؤلاء الذين يقرضون النقود .. هؤلاء الذين سمحوا
دم أبيه التعيس ..

.....

١ - العاصفة

كنا فى بداية المساء حين ركبت احدى العربات
اخذا طريقى الى يارموث . وقلت لسائق العربة وانا
اقامل السماء :

- الا تعتقد ان الجو غريب جدا ؟ .. لا اتذكر انى
شاهدت جوا مثل هذا من قبل ..

فقال سائق العربة :

- ولا انا يا سيدى .. فهذا الجو ينفر بهبوب
عاصفة شديدة .. وبالطبع سيثور البحر ويهيج
وستحدث بعض الحوادث .

واشتد تلبد السماء بالغيوم والسحب .. بل
واخذت السحب المتطايرة تتراكم فوق بعضها كالجبال
الشاهقة .. وكان القمر يبدو أحيانا من بين فرجات
السحب وكأنه قد فقد طريقه وتاه وأصابه خسوف
عارم ..

أما الرياح فقد أخذ هبوبها يشتد ويعنف لحظة بعد
أخرى .. وكانت تحدث أصواتا غريبة ومخيفة أحاطت
بكل شيء ..

وكلما أوغل الليل كلما تكاثفت طباق الظلام ..
وتراكت جبال السحب وغطت السماء كلها واختفى
وجه القمر ..

وحينما اشتد هبوب الرياح أصبحت الخيل لا تقوى
على جر العربة .. وكانت تدبر رؤوسها لتجنب
صفعات الرياح .. بل وكانت تتوقف في أحيان كثيرة
دون أن تقوى على مواصلة السير .. وأصبحنا نخشى
أن تنقلب بنا العربة ..

وبالرغم من بداية ظهور تباشير الصباح ، إلا أن

الرياح واصلت هبوبها العنيف وأصبحت أقوى من ذي قبل .. لقد رأيت غواصف كثيرة ولكنى لم أشاهد عاصفة مثل هذه ...

وصلنا متأخرين جدا الى ابسويش بعد أن صارعنا الرياح طوال رحلة مرهقة .. ورأينا الناس قد تجمعوا فى ساحة السوق بعد أن غادروا بيوتهم خوفاً من سقوط المداخن . وبينما كان سائق العربى يستبدل الخيل بخيل أخرى . سمعت الكثير من أخبار أسقف البيوت التى تطايرت وتحطمت ، والأشجار الكبيرة والصغيرة التى اقتلعت وسقطت على الأرض ..

وواصلنا الرحلة وسط هذه العاصفة العنيفة ..
والتي كانت تزداد عنفا وتدميرا كلما مر الوقت واقتربنا من سناحل البحر الذى تهب منه كل هذه الرياح المثارة .
وبالرغم من أننا كنا لم نزل بعيدين عن الساحل بمسافة طويلة ، الا أننا احسبنا بملح البحر فوق شفاهنا ..
وانهمر مطر من الماء المالح فوق رؤوسنا ..

وعندما لاح لنا ساحل البحر أخيرا .. سمعنا

هدير الأمواج الصاخبة ٠٠ وهى تعلو فوق الشاطئ
كما لو كانت أبراجا أو بنايات مرتفعة ٠

وربتت اقامتى بفندق صغير قديم ٠٠ ثم خرجت
متجها صوب الشاطئ ٠٠ وهناك رأيت نصف سكان
المدينة متجمعين ٠٠ وكثيرا من النساء كن يبكين بسبب
عدم ظهور قوارب الصيد التى يعمل عليها ازواجهن
يداخل البحر ٠٠ وكان قدامى البحارة يهزون رؤوسهم
فى يأس وهم ينظرون الى كل من البحر والسماء ٠٠
وكان ملاك السفن والقوارب ينظرون صوب البحر
وقد عصف بهم الاضطراب والقلق ٠٠

وكاد الحصى والرمال المتطايرة أن يعمى عيني ٠٠
وكاد هدير الموج أن يصم أذنى ٠٠ وكاد البحر أن يخرج
من شاطئه ليبتلع المدينة بمن فيها ٠٠ وفجأة أشار أحد
الملاحين ، ورأيت ٠٠ ويال هول مارأيت ٠٠ رأيت سفينة
تتحطم والأمواج تهاجمها من كل جانب !

كان أحد صواري السفينة قد تحطم ولكنه مازال
متعلقا بجانب السفينة ويتخبط فيها بقوة ٠٠ ورأيت

بعض الرجال على ظهر السفينة وهم يحاولون فصل
الصارى عن السفينة والقضاء فى البحر .. ورأيت
بينهم رجلا مجعد الشعر ..

وفجأة سمعت صرخة مدوية أطلقها كل المتجمعين
على الشاطئ .. صرخة غطت على هدير الموج وزئير
الرياح .. لقد طغى البحر على حطام السفينة ، وقذف
بالصارى وبكل ما عليها من أشياء ومن عليها من
الرجال .. فى المياه الثائرة بكل عنف .. والتى كانت
تبدو كما لو كانت تفور وتغلى ..

وعندما انزاح الموج عن الحطام ، رأينا السفينة
وقد انكسرت فى منتصفها .. ورأينا أربعة من الرجال
مازالوا متعلقين بالصارى الثانى الذى ظل يتأرجح
ويعلو ويهبط مع كل موجة .. ورأيت بين الرجال الأربعة
الرجل المجعد الشعر .

وكان هناك جرس مازال معلقا بالجزء المتبقى من
حطام السفينة .. وكان يدق بعنف واضطراب كلما
هبت موجة تقرب الحطام من الشاطئ ، وكلما انزاحت

موجة تبعد الحطام الى داخل البحر .. كان دق الجرس
أشبه بنذير الموت لهؤلاء الرجال التعمساء الذين مازالوا
يكافحون ويحاولون التمسك بالحياة .

وهبت موجة عاتية وغطت الحطام كله .. ثم
انزاحت بعد أن أخذت معها اثنين من الرجال الأربعة ..
فصرخ كل المتجمعين على الشاطئ وولولوا .. وادرات
النساء وجوههن وهن يصرخن ويبكين .. كما أخذ بعض
الرجال يجرّون ذهابا وجيئة على الشاطئ وهم
يصرخون لطلب المساعدة .. ولكن أية مساعدة تلك
التي يمكن أن يقدمها أحد في مثل هذه الأحوال ؟ !

كان من المستحيل تماما أن يرسل أى قارب
للنجدة .. وكان من الجنون أن يسبح أحد ومعه حبل
ليوصله بين الحطام والشاطئ .. ومع ذلك فقد رأيت
بعض الرجال يستعدون لعمل شيء .. وكان هام فى
مقدمتهم .

رأيت فى وجهه مزيجا من ملامح الحزن ولامح
التصميم والعزم .. وفهمت انه مقبل على مواجهة

أخطار قد يلقي فيها حتفه .. لذلك فقد اندفعت اليه
وأحطته بذراعى لكى أمنعه من الاقترام على تلك
المخاطرة .. وتوسلت الى الرجال المجتمعين حولي
وحوله أن يمنعوه من مفادرة الشاطئ ..

ثم ارتفعت صرخة عالية ، فنظرت صوب الحطام ،
فرايت جزءا من الشراع قد هوى وسقط فى البحر ،
أخذا معه واحدا من الرجلين الباقيين .. وهكذا لم
يصبح على الحطام الآن سوى رجل واحد مازال متشبثا
ببقايا الصاري ..

وهنا قال لى هام متوسلا :

- مستر دافيد .. لو كان عمرى قد انتهى فهو
قدرى المكتوب .. ليباركك الله .. دعنى اذهب !
وأحضروا له حبالا طويلا ، ربط أوله حول خصره .

وكان الحطام يعلو فوق قمم جبال الموج ، ويهبط
بعنف الى وديانها .. وكان الرجل الباقي عليه مازال
متشبثا بالصاري .. وكان يرتدى كابا احمر غريب

الشكل ظل يلوح به كما لو كان يتوسل إلينا لنجدته ..
وقد ذكرنى هذا الكاب الأحمر بصديق قديم كان يرتدى
مثله ..

نظر هام الى البحر .. وعندما انحسرت موجة
كبيرة عاتية ، أخذ يجرى وراءها .. وفى لحظة واحدة
أصبح هام يصارع الأمواج .. يعلو فوق قممها ويهبط
مع وديانها .. ثم قذفته موجة قوية نحو الشاطئ ،
فجذبه الرجال نحو الرمال ..

كان من الواضح أنه أصيب .. ورأيت الدماء
تغطى وجهه .. ولكنه لم يهتم بذلك بل وطلب من الرجال
أن يرخوا الحبل ليتيحوا له مزيدا من الحرية للتوغل
الى داخل البحر حتى يصل الى الحطام لينقذ الرجل ..
ثم قذف نفسه بين أحضان الموج مرة أخرى ..

أخذ يسبح نحو الحطام بكل قواه .. وكنا نراه
يعلو ويهبط مع حركة الموج .. وما كاد أن يصل الى
موقع الحطام ويمسك به ، حتى رأينا موجه خضراء
عالية كالجبل ، جاءت من خلف الحطام وارتفعت

فوقه ٠٠ وفي لمح البصر غاص العظام في أعماق البحر ٠

تكاتف الرجال وأخذوا يسحبون الحبل ٠٠ وفي لحظات وصل هام مسحوبا الى الشاطئ ٠٠ وكان جثة هامة ٠٠ لقد لطمته الموجة الخضراء بضربة قاتلة أطاحت بحياته وبكل الشجاعة التي كانت تملأ قلبه ٠ وحملناه الى منزل قريب وبقيت الى جواره ، وعقلي مغمم بكل الذكريات التي عرفتھا عن هذا الرجل الطيب الشجاع ٠

وبينما كنت جالسا بجوار سرير هذا الفقيد العزيز ، سمعت طرقا على الباب ، ودخل احد الصيادين يناديني باسمي :

- مستر كوبر فيلد ٠٠ هل يمكن ان تحضر معي ؟
وأحسست ان مصيبة أخرى قد وقعت واستندت الى ذراع الرجل وسأله بصوت ضعيف وحزين :

- هل لفظ البحر جثة أخرى ٠٠ ؟

– نعم ياسيدى ..

– وهل هى لشخص أعرفه ؟ ..

ولم يجب الرجل بكلمة .. وقادنى متأنيا نحو
الشاطيء حتى وصلنا الى نفس المكان الذى كنا – انا
واميلى – نجمع فيه القواقع .. وهناك بين اطلال
البيت القديم الذى أساء الى امله ، رأيتة معددا على
الأرض ، ورأسه مسنودة على ذراعه .. تماما مثلما
كان يفعل أيام المدرسة .. كانت الجنة لصديقى
القديم .. ستيرفورث !!

وطافت بخاطرى نكرى آخر لقاء معه .. وتذكرت
بوضوح آخر كلماته : « اذا فرقت بيننا الظروف ..
فأرجو أن تذكر حسناتى ! »

وهذا ماسوف أحافظ عليه الى الأبد .. !

٤٢ - ابلاغ الخبر الى مسز ستيرفورت

وصلت قرب الظهر الى هاى جيت . وفتحت لى
خادمة صغيرة باب البيت . سألته :

- انى احمل اخبارا سيئة الى مسز ستيرفورت ؟
هل هى موجودة الآن ؟

فى هذه اللحظة كانت الأم موجودة فى غرفة
ابنها . . . وبجانبتها كانت تقف روزا دارتل . وتساءلت
الأم فى قلق :

- هل هو مريض ؟ . . هل رأيتة ؟ . . هل عدتما
اصدقاء كما كنتما من قبل . . ؟ !

فهمست بصوت حزين :

- لقد مات !!

فصاحت الأم :

- روزا .. الحقيني !

**فلحقتها روزا على الفور .. ولكن بدون شفقة
ولا رحمة .. وكانت عيناها تتوهجان بشرر كالنار ،
وصرخت فيها قائلة :**

**- والآن .. هل ارتحت .. هل ارضيت غرورك
وفخرك بابنك .. ايتها المرأة المجنونة .. ؟!**

**ارتمت مسر ستيرفورث على مقعدها تحمق فيها
بعينين مفتوحتين عن آخرهما .. وواصلت مس دارتل
صراخها الملتاع ، وهي تدق بيديها على صدرها ،
وتشير الى ندبة الجرح الظاهرة في وجهها :**

**- انظري ماذا فعله ابنك في وجهي .. ثم نوحى
بعد ذلك وولوى .. ايتها الأم الفخورة بولدها**

الشرير ! .. انت التى دفعته الى طريق الشر والمضياع ..
كنت احبه اكثر منك .. احبه دون مقابل ودون امل او
رجاء .. واحبنى هو عندما كان بريئا وصادقا مع
نفسه .. وبعد ذلك اصبحت مجرد العوبة يلهو بها
كلما وجد ساعة فراغ يريد أن يقضى فيها فى اللذة
والمتعة .. كان يسحبني الى هنا او الى الطابق العلوى
ويلهو بى وفق هواه .. لقد اصبحت بالنسبة لكما
انتما الاثنين مجرد شىء مكسور لافائدة فيه وعديم
القيمة !!

قلت استعطفها واحاول ان اهدىء روعها :

— مس دارتل .. ارجو ان تقدرى شعور واحزان
ام فقدت ابنها الوحيد ! ..

فصرخت قائلة :

— ومن ذا الذى يقدر شعورى واحزاني ؟ !
— ولكن فى مثل هذه اللحظة يجب ان تنسى كل
الاساءات .. يجب ان تمدى يدك لمعاونة الأم الثكلى
فى تحمل احزانها ! ..

ولكن مسز ستيرفورث كانت جالسة على مقعدها
دون حركة .. كانت جامدة كتمثال نحت من الحجر ..
وبسدت مس روزا دارتل تفك بعض الازرار وتخلف
أربطة ملابس الأم لتساعدما على التنفس .. والتفتت
الى وصرخت فى وجهى :

— عليك اللعنة .. كانت ساعة شر سوداء حين
جئتنا فى هذا البيت .. عليك اللعنة .. هيا اخرج
من هنا .. !!

واخذت مسز ستيرفورث بين ذراعيها .. تقبلها
تارة ، وتناديها باسمها تارة أخرى .. وتحاول بكل
طريقة أن تفيقها من غشيتها .. أو تعيد اليها أنفاس
الحياة ..

٤٣ - وأقلمت السفينة

ذهبت أنا وبيجوتى - مريبتى العجوز المخلصة -
الى جريفسند لتوديع عائلة ميكاوهر المهاجرة الى
استراليا .. وكان مستر بيجوتى قد انتوى الهجرة
أيضا واستعد للرحيل على نفس السفينة .

وعندما وصلنا الى الرصيف ، رأيت أبناء مستر
ميكاوهر وهم يتعلقون بذراعى أجنس حتى آخر لحظة ..
واخذنا قاربا صغيرا اتجهنا به صوب السفينة التى
كانت تقف بعيدة عن الرصيف ..

واستقبلنا مستر بيجوتى الذى كان يقف على
سطح السفينة بجوار السور ٠٠ وقال لنا أن مستر
ميكاور قد قبض عليه منذ لحظة للوفاء بدين لأحد
الدائنين ٠٠ ولكنه استطاع أن يدفع مبلغ الدين فاطلق
سراحه ٠

وفى مكان منزو قريب على سطح السفينة لمحت
اميلى جالسة مع ابناء مستر ميكاور ٠٠ ورأيت اجنس
تحيتها وتودعها بقبلة ! ٠٠ كما رأيت مسز جاميدج
وهى ترتب حاجيات مستر بيجوتى بمعاونة بعض
الشابات الصغيرات ٠

ونودى على كل المودعين والزوار بأن يغادروا
السفينة بعد أن حل وقت الرحيل ٠٠ وقمت بتوديع
المهاجرين الوداع الأخير ٠٠ وكانت بيجوتى تبكى وهى
متعلقة بذراعى ٠٠

ونزلنا الى القارب الذى عاد بنا الى الرصيف ٠٠

وكانت أشعة الشمس الفاربة تنعكس في جمال رائع
فوق صفحة المياه الهائلة ..

وساد الصمت لحظة .. ثم فردت السفينة قلوبها
واشرعتها في مواجهة الريح .. وبدأت تتحرك ببطء
صوب البحر الواسع العريض .

٤٤ - الفصل الأخير

سافرت بعد ذلك فى رحلة طويلة زرت فيها ايطاليا
وفرنسا وسويسرا .. ثم عدت الى الوطن ..

توجهت فورا الى بيت عمى فى دوفر حيث
استقبلتنى هى ومستر ديك وبيجوتى التى اصبحت الآن
مديرة للمنزل .. استقبلونى جميعا بفرح عظيم والدموع
تترقب فى عيونهم ..

وظللت اتحدث مع عمى حتى الليل .. وفجأة
سالتنى عمى :

- ومتى ستسافر الى كانتربرى ؟

فاجبتها :

- سأسافر صباح الغد .. !

وجلست صامتا مستغرقا فى التفكير العميق وأنا
أحلق فى نار المدفأة .. كنت أشعر بالأسف والحزن
بسبب ما فشلت فى معرفته والاحساس به والتنبه اليه
فى أيام صباى الماضية .

وخيل الى انى اسمع صوت عمى وهى تعتب على
قائلة :

- اوه ياتروت .. انت اعمى .. اعمى ..
اعمى .. !

ثم قالت عمى وكأنها تفهم مشاعرى وتحس بما
يدور فى نفسى وقلبى :

- اذهب اليها .. ستجد أباهما وقد خط المشيب شعر
رأسه .. وستجدهما جميلة متألقة .. كريمة غير أنانية
كما كانت دائما .. !

فسألت عملى مترددا :

- هل لأجنس

- لها ماذا ؟

- عاشق يحبها ؟!

فصاحت عملى :

- لها عشرون .. كان فى امكانها أن تتزوج
عشرين مرة !!

- ولكن هل بينهم عاشق جدير بها ويستحقها ..
وهل هى تحب أحدا بعينه ؟ !

فقات عملى متنهدة :

- اعتقد أنها تحب واحدا بعينه .. هى لم تخبرنى
بأى شىء عن حبها .. ولكنى اعتقد ذلك !

وفى الصباح الباكر وصلت الى كانتربرى ..
وفتحت لى الباب خادمة جديدة لاتعرفنى . قلت لها :

- اخبرى مس ويكفيلد ان ضيفا وصل ويريد ان
پراها ..

وبعد قليل فتح باب الحجرة ودخلت/ أجنس بكل
جمالها ووداعة عينيها . واتجهت نحوى وهي تضع
يدها على قلبها من وقع المفاجأة . قلت لها :

- أجنس يا عزيزتى .. أرجو ان تكون مفاجأة
طيبة لك ان ترىنى هنا ..

- انى فى غاية السرور لرؤيتك ياتروتود !

وجلسنا جنبا الى جنب .. كانت صديقة كما
كانت ابدا .. جميلة .. وطيبة .. وحاولت ان اشكرها
على كل ما صنعتته فى الماضى من اجلى .. وقلت لها
فى النهاية :

- والآن يا أجنس .. اخبرينى عن نفسك ..

فقالته بهدونها المعتاد :

- ماذا اخبرك به ؟ .. ان أبى فى حالة طيبة ..
وما انت ترانا نعيش فى بيت ملكنا ! .. يدو أنك تفكر
فى شىء ما ياتروتود ..
وقلت لها :



آجنس ودالید .

- أجنس .. دعيني أقول الآن ما أفكر فيه .. لقد
جئت لأخبرك بأنى علمت انك تحبين شخصا ما ..
وأرجو الا تخفى عنى أى شىء يتعلق بسعادتك
القريبة .. من هو ذلك الشخص .. أخبرينى باسمه
إذا كنت مازلت تثقين بى ...

وفجأة ، هبت أجنس واقفة وهى تخفى وجهها
بيديها وانفجرت فى البكاء بدمع غزير فاض من
عينها .. وكاد قلبى ان يتمزق وأنا اسألها فى حيرة
ولوعة :

- أجنس يا عزيزتى .. ماذا فعلت حتى تبكى هذا
البكاء كله ١٩٠٠

فقلت وقد ازداد بكاءها وانهمار الدموع من
عينها :

- أرجوك ياتروتوده .. دعنى اذهب الآن ..
انى لست فى حالة طيبة .. وسوف نتحدث عن ذلك
فيما بعد ! ..

وأخذتها بين ذراعى وهمست :

- أجنس يا حبي ٠٠ انت أملى ٠٠ وانت خير عون
فى حياتى ٠٠٠ !

وارتاحت أجنس على صدرى ٠٠ قريبة من قلبى ٠٠
ووضعت يدها الرقيقة على كتفى ٠٠ وتلألأت عيناها
من وراء الدمع بنظرات حلوة حنون ٠٠

وقلت لها بكل الصدق :

- فى أى مكان كنت اذهب اليه يا أجنس كنت
أشعر بدبيب حبك فى قلبى ٠٠ لقد سافرت بعيدا لأنى
أحبك ٠٠ وعدت الآن اليك لأنى أحبك أكثر وأكثر ٠٠

وضعت كلتا يديها الرقيقتين على كتفى ٠٠ ونظرت
الى بوجهها الهادىء الجميل الرائق ٠ وقالت :

- هناك شىء أريد أن أخبرك به ٠٠

- ما هو يا حبيبتى ؟ ٠٠ أخبرينى !!

- لقد أحببتك طوال حياتى ٠٠ !!

وفي خلال أسبوعين تم عقد قراننا، ولم يكن ثمة أناس في زواجنا
الهادئ غير ترادلس والدكتور سترونغ، وكنا تركناهما والبهجة تملأ
صدريهما، وسرت وإياها في سبيلنا. قالت آغنيس «يا زوجي العزيز،

أما الآن، وقد غدا في وسعي أن أدعوك بهذا الاسم، فقد بقي شيء آخر
أود أن أخبرك به!».

«دعيني أسمعه يا حبيبتي!».

فقالت «إنه يعود إلى تلك الليلة، عندما توفيت دورا، وقد بعث بك
إليّ».

«أجل، لقد فعلت ذلك!».

«قالت لي إنها تترك لي شيئاً ما! هل في وسعك أن تقدر ما هو هذا
الشيء؟».

كنت أعتقد أنني أستطيع أن أقدر ما هو، وسحبت زوجتي التي
أحبتي كل هذه المدة الطويلة، وقربتني مني، واستمرت هي تقول «لقد
قالت لي إنها تتقدم إلي بالتماس أخير، وتترك بين يدي عهداً أخيراً...»
فقلت: «وقد كان...!».

أجابت: «بأنني أنا وحدي التي يسعني أن أملأ هذا المكان
الشاعر...».

وألقت أغنيس برأسها فوق صدري وراحت تنتحب، وشرعت أنا
أنتحب أيضاً، مع أننا كنا سعيدين جداً.

*

والآن تنتهي روايتي التي أكتب؛ وأنظر إلى الوراء مرة أخرى
وأخيرة... قبل أن أنهى الصفحة الأخيرة؛ فأرى نفسي، وأغنيس إلى
جانبي، أقوم برحلة على طريق الحياة، وأرى أطفالي وأصدقائي يلتفون
من حولنا، وأسمع هدير أصوات عديدة لا تختلف بالنسبة إلي وأنا
أستمر في رحلتي.

تُرى! أي وجوه هي أوضح ما تكون إليّ وسط هذا الحشد الفاني؟
ها هي ذي! جميعها تتحول إليّ فيما أطرح أنا هذا السؤال على ذاتي.
ها هي عمتي، تضع على عينيها نظارة سميكة، وقد أصبحت عجوزاً،

تتجاوز الثمانين، ولكنها لا تزال مستقيمة القامة، تسير مسافة ستة أميال في أيام الشتاء. وإلى جانبها تبرز پيفوتي دائماً، مربيتي الطيبة، القديمة، وهي ترتدي نظارة مثل نظارة عمتي، وقد اعتادت أن تقوم بأشغال الإبرة في أثناء الليل، وهي قرية جداً من المصباح، ولكنها لم تكن تجلس إلى عملها قط دون قطعة صغيرة من الشمع، «ومازورة» في حق صغير، وصندوق عملها الصغير، وعلى غطاءه صورة القديس پولس.

وثمة شيء ضخم يقبع دائماً في جيب پيفوتي، وليس هو شيء أصغر من كتاب التماسيح، الذي أصبح في حالة يرثى لها الآن، فقد انسلخت أوراقه وأعيدت إليه بوساطة الخيط والإبرة؛ ولكن پيفوتي كانت تعرضه على الأولاد وكأنه تركة ثمينة. وقد وجدت أنه من الغرابة، حقاً، أن أرى طفلي ينظر إليّ من خلال قصص التماسيح.

وفي أثناء عطلة هذا الصيف، أرى رجلاً مستأً بين أطفالي يصنع لهم طائرات ورقية عملاقة، ويحرق إليها وهي ترفرف في الجو بفرح كبير،

حيث لم تكن عليها أي كلمات، ويحييني بطريقة تذهل العقل، ويهمس
وهو يهز رأسه ويغمز بعينه عدة مرات: «سُسُرْ يا تروتوود عندما تسمع
أنني سأنتهي من مذكراتي حيث لا يعود عندي أي شيء آخر لأقوم به،
وأن عمّتك لهي امرأة تفوق جميع نساء العالم طيبة، وفطنة يا سيدي!».
والآن ها أنا أنهى عملي، وتغيب جميع هذه الوجوه، ولكن وجهاً
واحداً يبقى، يبقى دون أن يغيب عني. وأدير رأسي وأراه إلى جانبي في
صفائه المبهر. وينوص مصباحي وقد سوّدت صفحات طويلة حتى
ساعة متأخرة من الليل، ولكن وجودها العزيز، الذي بدونه لما كنت أنا
أي شيء، كان دائماً يصاحبني.

آه يا أغنيس، هكذا سيبقى وجهك بقربي عندما أنتهي من حياتي
فعلاً، وهكذا قد أجذك لا تزالين بصحبتني، فيما الحقائق تفرّ مني،
كالظلال التي أطردها الآن، وأنت تشيرين بيديك إلى الأعلى.